مدى الارتباط بين المعرفة والوجود عند نيقولاي هارتمان "١٨٨٢م – ١٩٥٠م"

بحث في الفلسفة المعاصرة

إعداد

د/ سعيد أحمد عيد حسن

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين

مدى الارتباط بين المعرفة والوجود عند نيقولاي هارتمان "١٨٨٢م – ١٩٥٠م" بحث في الفلسفة المعاصرة

سعيد احمد عيد

قسم العقيدة والفلسفة، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر مصر.

البريد الإلكتروني : saidragab.2011@azhar.edu.eg

الملخص:

يعتبر البحث في الجانب المعرفي لدى فلاسفة العصر من الأهمية بمكان، حيث إنه يلمس طرفا على جانب كبير من الاتجاهات الفكرية التي تحرك أيدلوجيات العصر، بما فيها من المناهج التي سلكها الملحدون، والتي تحاول عبثا اللعب بأفكار الشباب وسائر الناس، فكان البحث في قضية هامة من قضايا الفلسفة المعاصرة له بال عند كبير عند نقولاي هارتمان، ذلك الفيلسوف الذي يعد من الفلاسفة المعاصرين، وحيث إنه تناول فكر "كنت" المتعلق بنظرية المعرفة، وأوسعه نقدا وتمحيصا، هذا وقد تكون هذا البحث من مقدمة تناولت فيها نظرة عامة عن نظرية المعرفة، وخاتمة، عدة مسائل، فأولا عرفت بالفيلسوف، وذكرت رأيه في افتتاح نظرية المعرفة، ومميزات الوصف الفنومنولوجي للمعرفة، ثم قوام المعرفة، ويليه البعد الأنطولوجي في النظرية الأبستمولوجية، وغيرها من مسائل ذات بال ... ثم ختمت البحث بما تضمنه من نتائج، وأهمها رأي هارتمان في النظرية الأبستمولوجية، وعلاقة المدرِك بالمدرَك، وأنها علاقة تكاملية، لا يمكن إدراك الشيء بدون التواصل من المدرك للشيء المدرك.

التوصيات: أوصي بدراسة نظرية المعرفة في الاتجاهات الفلسفية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الأبستمولوجيا، الأنطولوجيا، الميتافيزيقا، الشكوك، النقائض.

The extent of the link between knowledge and existence by Nikolai Hartmann "1882-1950" researched contemporary philosophy

Saeed Ahmed Eid

Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Religious Origins, Al-Azhar University Egypt.

Email: saidragab.2011@azhar.edu.eg

Abstract:

Research on the cognitive aspect of the philosophers of the times is of paramount importance, as it touches a party on a large part of the intellectual trends that drive the ideologies of the times, including the approaches taken by atheists, which try in vain to play with the ideas of young people and other people, the research on an important issue of contemporary philosophy has a great deal of attention to Nicolae Hartmann, a philosopher who is a contemporary philosopher, and since he addressed the thought of "Kent" on the theory of knowledge, and expanded it in criticism and scrutiny, this This research may be from an introduction in which she addressed an overview of the theory of knowledge, and a conclusion, several issues, first known as the philosopher, and mentioned his opinion on the opening of the theory of knowledge, the characteristics of the phenomenological description of knowledge, then the strength of knowledge, followed by the anthropological dimension of the abstotheological theory, and other issues of concern ... The research was then concluded with its findings, the most important of which is Hartman's view of the absolutist theory, the relationship of the aware, and that it is an complementary relationship, which cannot be

understood without the connection of the aware of the perceived thing.

Recommendations: I recommend studying the theory of knowledge in contemporary philosophical trends.

Keywords: Abstology, Anthropology, Metaphysics, Suspicions, Andydes.

تقديم:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد؛

فإن البحث في نظرية المعرفة قديم حديث في نفس الوقت، قديم باعتبار أن نظرية المعرفة كانت ضمن ثنايا كلام الفلاسفة قديما، وحديث باعتبار أنها أفردت بالبحث، فهي أحد موضوعات ثلاثة هي صلب الفلسفة حديثا، وهي موضوعات الوجود والمعرفة والقيم، هذا ولقد تعدت اتجاهات البحث في نظرية المعرفة، فهناك الاتجاه التجريبي المادي –الذي يعتمد على التجربة الحسية–، وهناك الاتجاه العقلي –الذي ينظر إلى الحواس على أنها خادعة–، وهناك الاتجاه المثالي النقدي، وكل من هذه الاتجاهات له ما تفرع منه، ثم إن البحث في نظرية المعرفة في حد ذاته له شأن عظيم، فالمعرفة علاقة بين ذات مفكرة مدركة، وعالم موجود، أو أشياء لها تحقق في عالم الواقع (بين ذات وموضوع)، وهنا يبدو أنهم ثلاثة أشياء، ذات مدركة، عالم خارجي، علاقة بين الذات والموضوع أو العالم الخارجي، أضف إلى ذلك –أمر رابع– أنه لابد أن يكون ذا سلاح من خلاله يستطيع الحكم على تلك الأشياء الثلاثة، وذلك كي يستطيع أن يعيش بتواؤم مع نفسه، ومع مجتمعه، ومن هنا كانت أهمية هذا البحث والعمل على انتاجه.

وهنا تبرز مشكلة البحث، فإنه وإن كان الاتجاه التجريبي جعل الأصل في الإدراك هو التجربة والحس، فإن الاتجاه العقلي جعل الأصل المدرك للأشياء هو العقل، أما الاتجاه المثالي فإنه حاول أن يجمع بين

الاتجاه التجريبي والاتجاه العقلي، حيث إن كلا من العقل والتجربة لهما مدخل في الإدراك.

أسباب اختيار الموضوع:

يكمن السبب في اختيار الموضوع في أهمية نظرية المعرفة خاصة في العصر الحاضر والذي ضربته موجة إلحاد عاتية، كان من أهم أسبابها عدم الوثوق في المعارف الإنسانية، فلأن تدرس المعرفة، ويزعن ليقينية المعارف الإنسانية لهو أمر في غاية الأهمية حيث إنه يسد بابا كبيرا من أبواب الإلحاد المعاصر.

وفي نقاط محددة:

١/ نظرية المعرفة من أهم الموضوعات التي تدرس في الفلسفة المعاصرة.

٢/ يعتبر هارتمان من أهم الفلاسفة الذين مثلوا الفلسفة المعاصرة، وله تأثر كبير بـ"كنت"، خاصة في اتجاهه النقدي المثالي، وفيما يتعلق بنظرية المعرفة بالذات.

٣/ تعتبر مسألة الربط بين المعرفة والوجود من أهم المسائل التي تناولها هارتمان، وقيمة هذا الربط تتجلى في تأخر المعرفة عن الوجود، فلا يمكن أن تكون هناك معرفة بدون وجود، وإدراك الوجود يتوقف على المعرفة.

٤/ اليقين بالمعارف طريق مهم لسد موجات الإلحاد.

المنهج المتبع في البحث:

وقد اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج التحليلي المقارن، وقد استخدم المنهج النقدي في التعقيب أحيانا.

وقد اخترت فيلسوفا من فلاسفة القرن العشرين، وبالتالي يكون البحث بحثا في الفلسفة المعاصرة.

ملاحظة: أعبر أحيانا عن الأبستمولوجيا بالمعرفة، وكذلك قد أعبر عن الأنطولوجيا بالوجود.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة ومطالب سبعة وخاتمة.

تناولت في المقدمة: أسباب اختيار الموضوع، والمنهج المتبع في البحث، ومطالب البحث، ثم نظرة عامة عن الموضوع، وقد اشتملت الخاتمة على أهم نتائج البحث، هذا وقد تضمن البحث المطالب السبعة الآتية: المطلب الأول: التعريف بنقولاي هارتمان، المطلب الثاني: العلاقة بين الميتافيزيقا والأنطولوجيا، المطلب الثالث: كيفية البدء في نظرية الأبستمولوجيا والوصف الفنومنولوجي لها، المطلب الرابع: قوام المعرفة عند هارتمان، المطلب الخامس: البحث عن الشكوك، المطلب السادس: الموجود بذاته والمتعالي في النظرية الأبستمولوجية، المطلب السابع: الواقعية المعرفية عند هارتمان.

وبما أنه بحث في نظرية المعرفة والمسماة بالأبستمولوجيا –في الفلسفة المعاصرة– مع التركيز على وجه الخصوص على مسألة ربط الأبستمولوجيا بالأنطولوجيا والتي ركز عليها نقولاي هارتمان، فسوف

يتضح هذا الربط من خلال عدة مسائل حاولت تناولها على حسب وضعها وكيفها عند هارتمان.

نظرة عامة:

إن الاتجاهات في الفلسفة الحديثة –التي بدأت بعد عصر النهضة– والمعاصرة –والتي بدأت بموت هيجل([1]) سنة ١٨٣١م– متعددة ومختلفة، وكما هو مشهور فإن أبرز الاتجاهات الفلسفية هو الاتجاه المادي، الذي يرى التجربة والحس هما الأصل في الإدراك، بالإضافة إلى أن هذا الاتجاه لا يؤمن بما يسمى بالأفكار الفطرية، ومن أبرز ممثليه "جون لوك"، والاتجاه العقلي، الذي يرى أن العقل هو مصدر الإدراك، ويرى أيضا أن هناك ما يسمى بالأفكار الفطرية الكامنة في العقل، وهي سابقة على كل معرفة، ومن أبرز ممثليه "ديكارت"، وقد نشأ من بين الاتجاهين اتجاه ثالث وهو الاتجاه المثالي النقدي، ومن أبرز ممثليه "كنت" ، ولقد تأثر بالمثالية النقدية كثير من الفلاسفة ممن جاء بعد "كنت" وكان منهم: "هيدجر" و"ياسبرز" و"هارتمان" وهم من أبرز ممثلي الفلسفة المعاصرة، ويعتبر الثلاثة من أعظم الفلاسفة الألمان، وأكثرهم اهتماما بمشكلة الميتافيزيقا والأنطولوجيا، وعلى الرغم من اختلافهم في وجهات النظر، إلا أن بينهم بعض التشابهات الفلسفية، منها: أن منبع ما يصدر عنهم من تأملات فلسفية إنما هو عن القلق الخلاق، والمراد به أنه: قلق نابع عن

([1]) ملاحظة: سوف تأتي ترجمة وافية لمن ورد ذكره هنا في داخل البحث، فبما أنه هذه تعتبر من مقدمات البحث فالأجدر أن لا يذكر فيها ترجمات لفلاسفة، أضف إلى هذا أن فيلسوف البحث نفسه لم تتم ترجمته بعد، فلا يصح أن نعرف بأحد آخر قبله.

وعي بخطر عظيم يهدد الحضارة بالزوال، ومنها أيضا: العزة التي تكتنف الفيلسوف، وهي أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ينأى بنفسه عما يدور حوله من مشكلات، خاصة تلك المشكلات التي توشك أن تحيق بالمجتمعات، ويناط بالفيلسوف العمل على حل تلك المشكلات، والكشف عن علاجها؛ بل والواجب على الفيلسوف إنارة عقول الناس للتصدي لتلك المشكلات التي تؤثر على المجتمعات، وقد تشابه الثلاثة كذلك فيما يسمى بـ"فلسفات ما بعد الحرب"، والمراد بتلك الفلسفات هي الفلسفات التي عرفت بما يسمى بالثورة على النزعة الوضعية الأكاديمية والتي كانت منتشرة قبل الحرب العالمية (١).

وهي تلك النزعة التي حصرت نفسها في مشاكل المنهج، فالفلسفة من حيث هي فلسفة أريد لها أن تصبح خادمة للعلم، فالفلسفة منهج، والمنهج إنما هو لخدمة العلم.

ولبيان الأمر أكثر نقول: إن اهتمام النزعة الوضعية الأكاديمية **كان محصورا في مشاكل المنهج، فلقد أريد للفلسفة أن تصبح خادمة للعلم من حيث هي منهج، أضف إلى ذلك أن الأبستمولوجيا حلت محل الميتافيزيقا، وكاد أن ينحصر تناول مشكلة المعرفة بالمثالية "الترنسندنتالية" "الكنتية"(٢) على حسب تفسير "الكنتيين الجدد"، فالثورة**

---

(١) انظر: الدكتور محمود رجب الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص ١٥٥، ط الثانية ١٩٨٦م دار المعارف.

(٢) وهو منهج يرى أن الفلسفة تنحصر في جوهرها في تحليل الشروط المنطقية للمعرفة. وسيأتي مزيد تعريف به، وبالكنتيين الجدد، الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص١٢٩ .

على النزعة الوضعية كانت من أجل الحفاظ على الفلسفة، فلذلك اهتمت بأمرين لتؤتي ثمارها وهما، أولا: الإنسان، الذي أهمل ولم يوضع على طاولة البحث لفترة طويلة، وذلك لحساب "أبستمولوجي" وهو موضوع المعرفة، والثاني: الوجود، "الأنطولوجيا" أو الواقع، الذي أغفله "كنت" إلى حد ما، وذلك نتيجة اهتمامه بأمر آخر وهو: البناء الذهني المسمى باسم: "موضوع العلم" ، فكان من نصيب هارتمان أن اعتنى بمسألة "الأنطولوجيا" .

ومما ينبغي التنبيه له: أن البحث في نظرية الأبستمولوجيا "المعرفة" يتفرع إلى عدة موضوعات في غاية الدقة، فهو أولا: بحث في إمكانها، بمعنى قدرة الإنسان على تحصيل المعرفة، وثانيا: بحث في مصادرها، بمعنى البحث في مسألة الحواس والعقل وعلاقتهما ببعضهما البعض، والوحي عند أصحاب الأديان، والإلهام، والكشف، والحدس عند من قال بها، وثالثا: بحث في طبيعة المعرفة، والمقصود به تلك العلاقة الشائكة بين الذات العارفة والشيء المعروف، رابعا: بحث في قيمة المعرفة وحدودها.

وإذا كان الحديث هنا عن المعرفة "الأبستمولوجيا" والربط القائم بينها وبين الوجود "الأنطولوجيا" في فلسفة هارتمان فهو بحث في الأمر الثالث، أعني تلك العلاقة القائمة بين الذات المدركة والشيء المدرك، العلاقة بين العارف والمعروف وما يرتبط به من مسائل متفرعة، من جهة، وبين الأنطولوجيا من جهة ثانية.

فإذا كانت المعرفة ممكنة وراجعة إلى اليقين فالسؤال هو: ما هي طبيعة المعرفة؟

فالإنسان الذي يعيش بتواؤم مع نفسه ومع العالم، يشعر بوجود ثلاثة عناصر لابد من حصولها لحصول هذا التواؤم، وهي: وجود عالم كائن من حوله، وجود ذاته التي أدركت ذلك العالم، وجود علاقة قائمة بين العالم الموجود فعليا وذاته العارفة.

وهذا يعني أن المعرفة لازمة من لوازم الوجود، فهي علاقة بين وجود شخص عارف، وبين وجود الأشياء الخارجية، وتلك العلاقة قائمة في وعي الإنسان المميز بالمعرفة، وعلى هذا فالذي يهمنا هنا هو ليس البحث في ماهية الوجود، وإنما البحث عن تلك العلاقة الفكرية العلمية التي يملكها الإنسان تجاه الأشياء المعروفة لديه (١).

وأود التنبيه هنا إلى أمر هام وهو: أن أي موقف يتخذ في مسألة وجود العالم الخارجي أو الأشياء الخارجية عموما إنما لا يعدو أن يكون موقفا تفسيريا فحسب، بمعنى أنه في الميدان العملي لا يؤثر أي تفسير على الآخر (٢).

بمعنى أن من أنكر الوجود الخارجي -على سبيل المثال-، فإن هذا بالنسبة إليه لا يعدو أن يكون تفسيرا لوجود العالم الخارجي، أنه ليس موجود، ولكن عند التطبيق العملي فإنه يتعامل مع الوجود الخارجي على

---

(١) انظر: راجح عبد الحميد سعيد نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص٢٨، ٢٩، ١٩٢، ١٩٣، رسالة دكتوراه "مخطوطة" بكلية أصول الدين ١٩٧٩م.

(٢) الدكتور/ فؤاد زكريا نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان ص ١٤٩، ١٥٠، مكتبة نهضة مصر بدون تاريخ.

أنه موجود بالفعل وليس مجرد خيالات، فإذا أصابه ألم يتألم، وإن أحس بالجوع أكل ...

فالآراء الفلسفية في مسألة العالم لا تزيد عن كونها تفسيرات – صحت أم أخطأت– للعالم، ويظل التعامل مع الواقع قائما.

المطلب الأول: التعريف بنيقولاي هارتمان

نيقولاي هارتمان، فيلسوف ألماني ولد سنة ١٨٨٢م، في ريغا، أتم تعليمه الجامعي في جامعة سان بطرسبورغ، وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٠٩م، وفي عام ١٩٢٠م حصل على كرسي في جامعة ماربورغ، ودرس في كولونيا عام ١٩٢٥م، ودرّس كذلك في برلين عام ١٩٣١م لـ عام ١٩٥٤م، وتوفي سنة ١٩٥٠م في غوتنغن.

مؤلفاته:

له عدة مؤلفات في الفلسفة منها: مبادئ ميتافيزيقا المعرفة ١٩٢١م، وهو أول كتاب مهم له، مسألة الوجود الروحي ١٩٣٣م، بنية العالم الواقعي ١٩٤٠م، وقد حاول في هذين الكتابين التعمق في مسألة الوجود، الأخلاق ١٩٢٦م، فلسفة المثالية الألمانية ١٩٢٩م.

المؤثرات الفلسفية التي أثرت في فكره:

١/ دَرَسَ هارتمان المذاهب الفلسفية، القديمة والحديثة، خاصة أهمات المذاهب، المذهب التجريبي والمذهب العقلي والمذهب المثالي النقدي.

٢/ ودرس كذلك آراء الفلاسفة، بيد أن من أهمها تأثيرا عليه فلسفة الفنومنولوجيا والتي تسمى بـ(فلسفة الظاهر)([1]) –وسيأتي مزيد حديث عنها–.

([1]) وقد كان كثيرا ما يستخدم لفظة (فينومينولوجيا) والتي تعني فلسفة الظاهرات. انظر: الدكتور/ أمير عباس صالحي إيمانويل كانط الجزء الأول: الأبستمولوجيا ص ١٠٨، ==

٣/ وآراء هيدجر الذي كان معاصرا لهارتمان، وكذلك آراء كنت.

ومن أهم آرائه الفلسفية: نظريته في المعرفة، والتي يرى أنها تحيلنا إلى أنطولوجيا، أو إنها جزء من الأنطولوجيا ([1]).

تميزه بين الفلاسفة وما قيل عنه:

ومن أهم ما يتميز به من بين الفلاسفة الألمان هو دقته في التحليل، والذي يعني أنه كان إذا تعرض لمسألة من المسائل الفلسفية لا يتركها حتى يقوم بتفسيرها وتحليلها تحليلا ينبئ عن مدى فهمه لما قاله من سبقه، حتى أنه كان إذا قام بعرض أفكار من سبقه فإنما ذلك ينم عن موهبته النادرة، بهيئة تأسر القارئ، بجلائها اليقظ، وعمقها على السواء، وكتبه خير دليل على ذلك كما قيل([2]).

==

ط/ الأولى سنة ٢٠١٩م، مركز الفهرسة ونظم المعلومات، مكتبة العتبة العباسية المقدسة.

([1]) انظر: جورج طرابيشي معجم الفلاسفة ص٦٨٩، ٦٩٠، ط الثالثة سنة ٢٠٠٦م، دار الطليعة بيروت لبنان، الموسوعة الفلسفية المختصرة ص٣٨٠، نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، راجعها وأشرف عليها: الدكتور/ زكي نجيب محمود، مكتبو الأنجلو المصرية، إ. م. بوشنسكي الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص٥٥، ٢٦٧، ترجمة د. عزت قرني، ط١٩٩٢م، عالم المعرفة.

([2]) القائل هو: بوشنسكي في كتابه: الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص٢٧٧ .

وقد قيل([1]) عنه: إن نظرية المعرفة عند هارتمان تحيلنا إلى أنطولوجيا، تأخذ بعين الاعتبار الثورة "الكنتية"([2])، ولا تدعي أنها تستنتج استدلاليا ضرورة الله، والنفس، والعالم، وتضرب صفحا عن كل مسألة لا يكون مسقط رأسها في تجربة المعرفة.

وهذا يعني أن هارتمان متأثر في بـ"كنت" في نظريته للمعرفة والتي راعى فيها الجانب التجريبي، فلم يغفل هذا الجانب، حتى أنه لم يجعل الاستدلال على مسائل الله والعالم والنفس، استدلا ضروريا، بل هي مسائل نظرية، وقد تحتاج إلى تجربة في بعض أدلتها.

([1]) بيير تروتينيون . انظر: جورج طرابيشي ص٦٩٠ .

([2]) يراد بالثورة الكنتية ذلك التغير الذي أضافه "كنت" على طريقة التفكير، فبعدما كان يعتقد أن العقل يدور حول الأشياء لمعرفتها، ادعى "كنت" أن الأشياء هي التي تدور حول العقل، وشبه ذلك بالثورة الكوبرنيكية التي أحدثها "كوبر نيكوس" في مجال الفلك.

المطلب الثاني: العلاقة بين الميتافيزيقا والأنطولوجيا

الميتافيزيقا من المصطلحات التي تغير –عبر التاريخ– مفهومها:

١/ فلقد كانت تعني في الفلسفة في عصورها القديمة شيئا، وفي عهدها المعاصر شيئا آخر، فلقد كانت تعرف أولا في عصورها القديمة بالماورائيات، وهو ما يعني عالم الغيب، وما يشمله من الحديث عن الإله والخلود، وقد يقال في معناها أيضا: إنها أمور غيبية لا تخضع للحس أو الرؤية(١)، وهذا المعنى أيضا درج عليه بعض الأدباء ممن ليس لهم علم بالاتجاهات الفلسفية، وكذا بعض دعاة المذهب الوضعي وغيرهم، وقد تعني كذلك معرفة ماهية الأشياء بذاتها، مقابل المظاهر التي تتسم بها(٢).

أما في عهدها المعاصر:

فقد كثرت إطلاقات كلمة ميتافيزيقا على مفاهيم متعددة قد تصل إلى حد التناقض، فقد أطلقت على: معرفة الأشياء بذاتها، ومعرفة الروح،

---

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (م و ر ا ئ ي ي ا ت) ج٣ ص٢٠٦٢، المؤلف: د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، الناشر: عالم الكتب.

(٢) انظر: أندريه لالاند موسوعة لالاند الفلسفية (ميتافيزيقا) ج٢ ص٧٩١، تعريب الدكتور/ خليل أحمد خليل، إشراف/ أحمد عويدات، ط الثانية، مشورات عويدات باريس – بيروت، تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص ٢٦٤ .

والمعرفة قبلية، والمعرفة مجردة، والمعرفة نظرية، والمعرفة بلا افتراضات، وغير ذلك (١).

٢/ بيد أن الكلمة –ميتافيزيقا– تحمل معنى مغايرا عند أغلب الفلاسفة المعاصرين(٢)، فهم يطلقون اسم "الميتافيزيقا" على نظرية الوجود من حيث هو وجود، وهم يعتمدون في ترسيخ ذلك المعنى على العقل، والعلوم الطبيعية (٣).

والسؤال المطروح ما الفرق إذن بين "الميتافيزيقا" و"الأنطولوجيا"؟

الفرق يأتي من جانبين: أولا: أن الأنطولوجيا تقتصر على تحليل بنية الوجود، وبالتالي على تحليل ماهيته، أما الميتافيزيقا فتبحث في قضايا وجودية، أي تتصل بكينونة الموجود نفسه، وعليه تكون مشكلة "الأبستمولوجيا" مشكلة ميتافيزيقية من هذه الزاوية، ثانيا: أن الميتافيزيقا –من حيث المبدأ على الأقل– تريد أن تتوصل إلى تصور عام عن الحقيقة، بخلاف الأنطولوجيا (٤).

٣/ وهارتمان نفسه يسير على هذا الاتجاه، ويؤيده، فعلى سبيل المثال: أنه في كتابه "ميتافيزيقا المعرفة" ينظر إلى الميتافيزيقا على أنها

---

(١) موسوعة لالاند الفلسفية ج٢ ص٩٩٨ .

(٢) لقد اصطلح المؤرخون على اعتبار أن عام ١٨٣١م وهو العام الذي توفي فيه "هيجل" يعد البداية التقريبية للفلسفة المعاصرة. انظر: الدكتور/ محمد علي أبو ريان تاريخ الفكر الفلسفي "الفلسفة الحديثة" ج٤ ص٣٤٧، ط/ ١٩٩٦م دار المعرفة الجامعية .

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة المعاصرة ص٢٦٤ .

(٤) تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص٢٦٤ .

بحث في الوجود، وهذا يعني أنه يوحد –في بعض الأحيان على أقل تقدير– بين الميتافيزيقا والأنطولوجيا([1])، ونتيجة لهذا جعل المصطلحين كأنهما مترادفين، فالميتافيزيقا هي الأنطولوجيا، والأنطولوجيا هي الميتافيزيقا في كثير من الأحيان عنده ([2]).

([1]) ولكن أصل الأنطولوجيا عند هارتمان أنها: مبحث تحليلي هدفه كشف وإظهار بناء حقيقة واقعية معينة، فالأنطولوجيا قد تحولت عنده من نظرة تأملية للوجود، إلى تحليل لبناء الوجود. انظر: ميتافيزيقا المعرفة لنقولاي هارتمان، ترجمة: الدكتور/ محمود رجب، نقلا عن: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٦٦ .

وإذا أردنا أن نستجوب هارتمان عن سؤال مؤداه: ما هو الوجود؟ فإنه لم يقدم إجابة عن هذا السؤال، بيد أنه سلم –ضمنيا– بوجود خاصيتين هما: أن الوجود في المقام الأول: وجود في ذاته، وفي المقام الثاني: أن الوجود بما هو كذلك وجود مستقل، فهو مستقل عن أي شيء، مستقل عن أن يتخيل، أو يعرف، أو يتجاهل، فعموما هناك وجود له تحقق، وله استقلالية، فهو حتى مستقل عن الإنسان نفسه، وعن جميع مداركه. انظر: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٦٨ .

أضف إلى ذلك: أنه لا يرى أن هناك شيئا يشبه الوجود، بالتالي يحاول أن ينقيه من كل أثر للنزعات التشبيهية، فليس ثمت معنى للوجود عنده، –وبالتالي هو لم يقدم أي إجابة عن معنى الوجود– وقد يشبه هذا قول من رأى من المتكلمين أن الوجود أظهر الأشياء ومن ثم لم يعرفوه؛ لأنه إذا تم تعريفه حالتئذ فسوف يعرف بما هو أخفى منه، وإن كان من الممكن أن ينظر له على بعض المترادفات، كأن يقال: هو الشيء والثابت والمتحقق وغيرها. انظر: السابق نفسه نفس الصفحة، سعد الدين التفتازاني شرح المقاصد (١٤١/١ , ١٤٢)، قدم له ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط/ دار الكتب العلمية سنة(٢٠٠١م)، محمد بن عرفة الدسوقي حاشية الدسوقي علي أم البراهين (ص ٧٤)، ط/ مكتبة المشهد الحسيني بدون تاريخ.

([2]) انظر: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص ١٧٧.

وهو إذ يرى هذا الرأي إنما يظهر تأثره الواضح بـ"هيدجر"(١) الذي يرى أن الميتافيزيقا عند "كنت"(٢) إنما هي في أصلها وجوهرها بحث في

---

(١) مارتن هيدجر: فيلسوف ألماني، ولد سنة ١٨٨٩م بألمانيا، وتوفي بها سنة ١٩٧٦م، يعتبر واحد من أعظم فلاسفة ألمانيا، وربما هو أهم فيلسوف في القرن العشرين، عمل أستاذا في جامعة فرايبورغ، وقد تولى رئاسة هذه الجامعة، من أهم من تأثر بهم هيدجر: هوسرل في فلسفته الفنومنولوجية، ونيتشه. ويعتبر هيدجر هو مفكر الوجود في ثوبه الفنومنولوجي الهوسرلي، حيث إنه استخدم المنهج الفنومنولوجي وطبقه في محاولته للإجابة عن سؤال: ما الوجود؟

له عدة مؤلفات منها: الوجود والزمان، مدخل إلى الميتافيزيقا، ما المقصود بالتفكير، مبدأ العقل، وغيرها. انظر: جورج طرابيشي معجم الفلاسفة ص٦٩٤ وما بعدها، الموسوعة الفلسفية المختصرة ص٤٠٠.

(٢) عمانويل كنت: فيلسوف ألماني، ولد بروسيا الشرقية سنة ١٧٢٤م، وتوفي بها سنة ١٨٠٤م، من أهم من تأثر بهم كنت، "روسو"، وتأثره به واضح في الكتابات الأخلاقية والسياسية لدى "كنت"، وكذلك تأثر بـ"هيوم" حتى وصف نفسه قائلا إنه "أيقظه من ثباته الوثوقي"، وغيرهما، لـ"كنت" مؤلفات عديدة منها: نقد العقل الخالص، نقد العقل العملي، الأساس الممكن الوحيد للبرهان على وجود الله، ، وغيرها، ممن تأثر به "فخته" الذي قال عنه: بصفة عامة يملك "كنت" الفلسفة الحقة، و"هيجل" الذي قال عنه: إبتداء من "كنت" ينبغي أن يعد الاستقلال المطلق للعقل مبدأ أساسيا للفلسفة وواحدا من اعتقادات عصرنا. انظر: جورج طرابيشي معجم الفلاسفة ص٥١٣ وما بعدها، الموسوعة الفلسفية المختصرة ص٢٤٥ وما بعدها، برتراند راسل تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثالث "الفلسفة الحديثة" ص٣١٥ وما بعدها، ترجمة: الدكتور/ محمد فتحي الشنيطي، دار الكتب المصرية ١٩٧٧م، الدكتور عثمان أمين رواد المثالية في الفلسفة الغربية ص٥٧، ط/ دار المعارف سنة ١٩٦٧م.

الوجود، و"هيدجر" بهذا يعارض رأي "الكنتيين الجدد"(١) والذين يرون أن الميتافيزيقا عند "كنت" عبارة عن: نقد.

فيقرر "هيدجر" أن الميتافيزيقا عند "كنت" ما هي إلا بحث في الوجود، ومحاولة لتأسيس الأنطولوجيا على دعائم جديدة.

ويظهر هنا رأي هارتمان الذي خلص من بحثه وقراءاته لـ"كنت" أن الميتافيزيقا عنده –كنت– هي الوجود، ويأخذ هارتمان بهذا الرأي الذي سبقه إليه "هيدجر"، موجها نقده لرأي "الكنتيين الجدد" الذين انتهوا إلى أن الميتافيزيقا عنده ما هي إلا نقد (٢).

---

(١) الكنتيون الجدد يعرفنا بهم "هيدجر" عندما سأله "كاسبرز" في مناقشة مشهورة بينهما عنهم –الكنتيين الجدد– فقال هم: كوهين، وفندلباند، وريكرت، وريل، وبنواردمان.
وبالتأمل في أصل نشأة حركة "الكنتيين الجدد" يفهم طابعها العام، والذي نشأ من سؤال وجه إليها وهو: ما الذي بقي لها لكي تفعله في مجال المعرفة؟ فلقد كان الظاهر أن ما بقي لها هو معرفة العلم فحسب، وبالتالي أصبح "كنت" لدى هذه الحركة – الكنتيون الجدد– معدودا صاحب نظرية معرفية "معرفة الرياضة والطبيعة على السواء" مع أن "كنت" لم يقصد أن يقدم نظرية في العلوم الطبيعية، فمقصده الأساسي كان مشكلة الميتافيزيقا بوصفها أنطولوجيا أساسية. انظر: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص٦٣ .

(٢) من الأفكار والمفاهيم الرئيسة التي يشترك فيها الكنتيون الجدد أولا: ينتسبون جميعا إلى "كنت" الذي هو في أعينهم أعظم الفلاسفة، وهو عندهم المفكر الحقيقي، فيرون أن الميتافيزيقا تبدو غير ممكنة؛ بل هي مستحيلة، وبالتالي يرفضونها، ويرون كذلك: أنه ينبغي أن يحل محل المنهج النفسي منهجا آخر وهو المنهج الترنسندنتالي، ويرى هذا المنهج أن الفلسفة تنحصر في جوهرها في تحليل الشروط المنطقية للمعرفة وللإرادة .

==

ويؤيد رأي هارتمان بعض الباحثين(١) فيرى أن الفكر "الكنتي" كالفكر "الديكارتي" فكر إيجابي بناء، فشك "ديكارت"(٢) انتهى به إلى اليقين، وكذلك نقد "كنت" انتهى به إلى الإيمان، فمهمة "كنت" مهمة تأسيس وتشييد، سواء في العلم ... أو في الدين .. وليس مجرد نقد.

==

ثانيا: أنهم ينكرون كل وجود للحدس العقلي، وما العقل عندهم إلا ملكة تكوين الكل ابتداء من عناصر، وهو لا يحوز قدرة غير قدرة التركيب، وعلى هذا فلا توجد معرفة لمضمون الأشياء، ولا للجوهر.

ثالثا: هم جميعا مثاليون في نظرية المعرفة، ففعل المعرفة ليس هو مجرد إدراك للموضوع؛ بل فعل المعرفة إنما يقوم بخلق الموضوع، وكما يقولون: "إن الموجود لا يوجد في ذاته، إنما الفكر وحده هو الذي ينشئه" والمثير للأمر عند "الكنتيين" أن فهم "كنت" يعني تعديه "أي تجاوزه"، على قول (فندلباند)، ولا يخشى "الكنتيون الجدد" من دفن جسم تلك الفلسفة (فلسفة كنت) من أجل إحياء روحها (على حد قول ناتُرب) .

والواقع أنهم يختلفون مع "كنت" من نواحي متعددة منها: أولا: أن مثاليتهم متطرفة إلى حد ما، فهم يرفضون "وجود الشيء في ذاته"، والذي يقرر هارتمان وجوده بشدة، ثانيا: يرفضون اعتبار الإحساس مصدرا أصليا للمعرفة، وهم بذلك متطرفون في مثاليتهم، حيث تجاوزا ما ذهب إليه "كنت" نفسه. انظر: الفلسفة المعاصرة في أوروبا بوشنسكي ص ١٢٩، ١٣٠ .

(١) الدكتور عثمان أمين انظر: رواد المثالية في الفلسفة الغربية ص٥٩ .

(٢) رينيه ديكارت فيلسوف فرنسي، ولد سنة ١٥٩٦م، يلقب بأبي الفلسفة الحديثة، ويعتبر من أنبغ الفلاسفة الفرنسيين، وله تأثير قوي على أكثر من جاء بعده من الفلاسفة، له مؤلفات عدة منها: مقال في المنهج، التأملات الميتافيزيقية، مبادئ الفلسفة، توفي سنة ١٦٥٠م، انظر: معجم الفلاسفة ص٢٩٨ وما بعدها.

تعقيب:

بما أن البحث في الأبستمولوجيا يرتبط بصورة كبيرة بمسألة الأنطولوجيا، وهي بدورها ترتبط ارتباطا كبيرا بالميتافيزيقا، فقد ألقينا نظرة سريعة على العلاقة بين الميتافيزيقا ومعانيها المختلفة والأنطولوجيا، ورأي "كنت" –والذي تأثر به كثيرا هارتمان– واختلافات من جاء من الفلاسفة بعد "كنت" في مراده، وما قد رجحه هارتمان نفسه في المسألة، حيث إنه رجح أن رأي "كنت" في الميتافيزيقا: هو الوجود، وارتأى هارتمان هذا الرأي نفسه.

وهذا يدفعنا دفعا إلى الدخول في عمق نظرية المعرفة عند هارتمان وهي المرحلة الأولى في نظرية المعرفة، وما يتعلق بها من وصف ظاهري.

المطلب الثالث: كيفية البدء في نظرية الأبستمولوجيا والوصف الفنومنولوجي لها

يرى هارتمان أنه لابد أن تبدأ نظرية المعرفة بوصف ظاهرة المعرفة، بمعنى أن يهتم أصحاب المذاهب الفلسفية بإبراز العلاقة بين الذات والموضوع، وهذا يعتبر "فنومنولوجيا" المعرفة، أي وصف ظاهرة المعرفة.

وهذا يبين أن هارتمان درس المنهج الفنومنولوجي(١) وتأثر به.

---

(١) المنهج الفنومنولوجي أو المذهب الظاهري، أو فلسفة الظاهريات، والذي اشتهر بـ"هوسرل"، وهو منهج يحاول التوصل إلى طريقة تمكنه من تحصيل الحقائق الأساسية، والقاعدة الأساسية في هذا المنهج هي: "أن نذهب إلى الأشياء نفسها" مع استبعاد كل النظريات السابقة المتعلقة بالواقع، ومهمة علم الظواهر هي الكشف عن عالم الظواهر بكل دقة، مع وصف هذا العالم، مع بيان ما بين ظواهره من روابط، أضف إلى ذلك أن عالِم الظواهر (الشخص الفنومنولوجي) يجب عليه أن يقوم بتخليص أبحاثه من كل المشاكل والأحكام الزائفة التي تلقاها من السابقين والتي من شأنها أن تؤخر الفكر الفلسفي، أضف إلى ذلك ثانيا: أنها فلسفة تحاول أن تبحث عن جذور المعرفة، فتحاول أن ترتد إلى حالة ما قبل المعرفة إلى ما وراء مجال الأحكام والتصورات، وهو هنا يشابه إلى حد كبير "كنت" في بحثه عن الشروط الأولية للمعرفة، ولكن يقع الخلاف بينهما في أن "كنت" كان يفترض أوليا وجود حل لمشكلة المعرفة، أما "هوسرل" فكان يرفض التسليم بمثل هذا الفرض. انظر: الدكتور/ فؤاد كامل أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ص١٦٢، ١٦٣، ط/ الأولى ١٩٩٣م دار الجيل، الدكتور/ يحيى هويدي قصة الفلسفة الغربية ص١١٣، ط/ ١٩٩٣م دار الثقافة للنشر والتوزيع .

فيرى أن الوصف الفنومنولوجي يبرز ناحيتين في الميتافيزيقا هما: أن الميتافيزيقا ضرورية لإقامة نقد.

وأن الميتافيزيقا نظرية؛ وذلك لأن مشكلة المعرفة في ذاتها ميتافيزيقية أو أنطولوجية؛ فهي علاقة موجودة بالفعل –في عالم الوجود– بين ذات وموضوع.

وهو وإن كان تأثر بالمنهج الفنومنولوجي بيد أنه أضاف له شيئا طريفا، وهو ما يسمى بـ"ما هو فوق المعقول" وبـ"ما فوق المنطقي" حيث يتخذ من كلتا الفكرتين نقطة ابتداء ينطلق منها عند استخدامه الوصف الفنومنولوجي للمعرفة، والطرافة تظهر من عدم وجود الفكرتين أصلا في المنهج الفنومنولوجي ([1]).

مميزات الوصف الفنومنولوجي للأبستمولوجيا "للمعرفة" كما يرى هارتمان:

يرى هارتمان أن هناك جانب أنطولوجي في المعرفة، والذي يُظهر لنا هذا الجانب الوجودي في المعرفة هو الوصف الفنومنولوجي للمعرفة، فليس هناك إمكانية لإنكار الجانب الوجودي في المعرفة.

بمعنى أنه إذا كان لابد أن تبدأ أي دراسة بوصف لموضوع الدراسة، فيبدأ –مثلا– فيلسوف الدين بوصف الوقائع الدينية، والفيلسوف الخلقي يبدأ بوصف الواقعة الخلقية، كذلك يتعين على الفيلسوف الذي يهتم بنظرية المعرفة أن تكون بدايته من عند وصف الواقعة المعرفية،

([1]) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٧٨ .

"فالمهمة الأولى التي يتعين على صاحب نظرية المعرفة القيام بها هي أن يصف واقعة المعرفة .. والمنهج الذي يحقق مثل هذه الضروب من الوصف هو المنهج الفنومنولوجي" (١).

فإذا كان مثلا فيلسوف الدين يبدأ دراساته بوصف الوقائع الدينية (الموجودة بالفعل)، فكذلك ما يهم فيلسوف المعرفة أولا هو القيام بوصف الوقائع المعرفية (الموجودة بالفعل)، والذي يظهر هذه المسألة أوضح ظهور على رأي هارتمان هو المذهب الظاهري (الفنومنولوجي) والذي اشتُهِر بـ"هوسرل" (٢).

واعتمادا على المنهج الفنومنولوجي الذي تأثر به يقرر بعض المسائل المنهجية في البحوث عموما، فالباحث عموما لابد أن يكون محايدا، فلا يتأثر بوجهات النظر السابقة عليه، وكذلك لا يتأثر بوجهة نظر خاصة، لفيلسوف معين مثلا، وأيضا لا بد أن يكون وصفه وصفا

---

(١) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٥٩ .

(٢) ادموند هوسرل: فيلسوف ألماني ولد سنة ١٨٥٩م بألمانيا وتوفي سنة ١٩٣٨ بها. كان يهوديا ثم تنصر، وتتلمذ على يد الفيلسوف فرانتز برنتانو، عمل في جامعة هال، ثم في جامعة جوتنغن، له عدة مؤلفات منها: فلسفة الحساب، مباحث منطقية، أفكار عن علم ظواهر خالص وفلسفة ظاهرية، محاضرات عن فنومنولوجية الوعي الباطن بالزمان، تأثر به الكثير من الفلاسفة ممن عاصره وممن جاء بعده، منهم نقولاي هارتمان، ومارتن هيدجر الفيلسوف الوجودي المشهور. انظر: معجم الفلاسفة ص٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، الموسوعة الفلسفية المختصرة ص٣٩١، أعلام الفكر المعاصر ص١٦١ وما بعدها، ادموند هوسرل بحث منشور بكلية أصول الدين بالقاهرة، للدكتور/ عرفة النادي، سنة ٢٠١٩م.

عاما شاملا، لا يترك صغيرة أو كبيرة قد يكون لها مدخل معين في طبيعة البحث أو النظرية، أو تأثير من قريب أو بعيد في النظرية محل البحث.

"ذلك أنه يجب التعلق بالوقائع على نحو طبيعي، بمعزل عن كل مذهب، ففي ميدان المعرفة مثلا: يجب أن توصف ظاهرة أو واقعة المعرفة وصفا لا يرتكن إلى مناقشات الواقعيين والمثاليين، ذلك أن الوصف لابد أن يكون منزها عن الغرض، ويجب أن يكون شاملا لجميع جوانب الظاهرة بلا استثناء؛ لأنه إذا ما استبعدنا جانبا دون وصف، فقد يكون ذلك بتأثير من حكم سابق، يجعلنا نحكم –قبل كل وصف– بأن هذا الجانب إما غير موجود، أو عديم الأهمية .. " (١).

فعلى سبيل المثال ليس لنا الحق في أن نستبعد المعرفة العادية العامية، ونقوم بوصف المعرفة العلمية، فهو وإن كانت المعرفة العلمية أكثر وعيا ودقة وإحكاما، إلا أن المعرفة العامية معرفة على كل حال، ولا يصح أن نغض الطرف عنها، فكلا النوعين له مدخل بشكل ما في توضيح الآخر (٢).

تعقيب:

١–رؤية هارتمان هنا عن كيفية دراسة نظرية المعرفة وتحليلها إنما يرجع إلى تأثره الواضح بالمنهج الفنومنولوجي، فالمنهج الفنومنولوجي يرى أن بداية البحث في نظرية المعرفة لا يكون بحثا في طبيعتها أو وسائلها أو إمكانها وإنما يكون بوصفها أولا، ثم بعد ذلك

(١) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٥٩.

(٢) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٥٩، ١٦٠ .

النظر في باقي المسائل المتعلقة بها كالبحث في طبيعتها وإمكانها وغير ذلك، وبالتالي يرى هارتمان أن هناك أهمية كبيرة للوصف الفنومنولوجي.

٢-والحيادية أو الموضوعية في البحث العلمي بمعنى عدم التأثر بالمذاهب والآراء المنتشرة على الساحة الفكرية سواء كانت سابقة أو حاضرة؛ مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمنهج الفنومنولوجي على ما يرى هارتمان، فالموضوعية العلمية هي من غرس المنهج الفنومنولوجي كما يرى هارتمان.

٣-أضف إلى ذلك أنه بناءً على المنهج الفنومنولوجي -كما يرى هارتمان- أن لا يمكن استبعاد أنواع المعارف المختلفة، فلا يصح مثلا أن يتم تجاهل المعرفة العامية بدعوى إنها ليست علمية، فهي معرفة على كل حال ولها مدخل في تفسير الوقائع، فينبغي عدم التفريط بها أو الاستغناء عنها، لأنها تقرر معرفة على كل حال.

وتأتي هنا مسألة على جانب كبير من الأهمية وهي مسألة النقد الأنطولوجي لميتافيزيقا القدماء، -حيث إن هذه المسألة تساعد على إبراز رأي هارتمان في ربطه بين المعرفة والوجود- وهي محور النقطة القادمة.

النقد الأنطولوجي لميتافيزيقا القدماء:

تصبح قضية أن: "المعرفة هي إدراك الوجود" القضية الأساسية في ميتافيزيقا (١) المعرفة من جانب، ومشكلة المعرفة والتي هي في

(١) قد يختلط الأمر -أحيانا- عند هارتمان في معني الميتافيزيقا، فقد تكون بمعنى النقد كما ذهب إليه "الكنتيين الجدد" مفسرين رأي "كنت" في الميتافيزيقا، وقد تكون بمعنى البحث في الوجود، كما ذهب إليه "هيدجر" مفسرا رأي "كنت"، ويبدو أنه تأثر بكلا ==

أساسها مشكلة أنطولوجية من جانب آخر، قضية أساسية أخرى! فهل هذا يعني أنهما وجهان لعملة واحدة عند هارتمان؟

وبالتالي يوجه هارتمان انتقاده للفلسفة القديمة في جانبها الميتافيزيقي، حيث كانت الميتافيزيقا عندهم تعني البحث في العالم الغيبي، أو إن شئت قلت نسبة بعض الحوادث إلى بعض المبادئ الغيبية، ويرى أن هذا خطأ مزدوج، فهو خطأ؛ لأن تلك الفلسفة القديمة زعمت –في رأيه– أنها تقدم حلا لما لا يقبل حل، وأرادت أن تخضع الواقع والحقيقة لها، وكونت نظما فلسفية مغلقة.

"لقد أخطأت الميتافيزيقا القديمة خطأ مزدوجا، فقد كانت تدعي من جانب أنها تقدم حلا لما هو غير قابل للحل، حيث الميتافيزيقي يعني اللاعقلي، واللاعقلي غير ممكن المعرفة، ومع ذلك فإن كل موجود يمكن إدراكه ومعرفته من جانب، والدليل على ذلك وجود مشكلات لا حصر لعددها، وكذا التناقضات التي نلقاها أمامنا من كل جهة (الحرية والحتمية ..) وليس في استطاعتنا أن نجد حلا لهذه المسائل، ... من جانب آخر، فإن الميتافيزيقا القديمة ارتكبت خطأ حين كونت نظما فلسفية مغلقة، وحاولت أن تخضع الواقع والحقيقة لها" (١).

==

الرأيين، وربما يكون لتعدد معاني كلمة الميتافيزيقا أصلا كما سبقت إشارة إلى ذلك قريبا، والله أعلم.

(١) قارن رأي "كنت" في المسألة، رواد المثالية في الفلسفة الغربية للدكتور عثمان أمين ص٨٥، وانظر: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص٢٧٩ .

ويبدو من كلامه هذا أيضا أن الميتافيزيقا -القديمة- غير قابلة للمعرفة، حيث إنه جعلها في حدود -اللاعقلي- ثم حكم بأن اللاعقلي غير ممكن المعرفة أصلا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنه حكم بأن كل موجود يمكن إدراكه، وبما أن موضوعات الميتافيزيقا لا يمكن إدراكها فهي شيء غير موجود.

وتعتبر أيضا هذه المذاهب القديمة -على رأيه- منتجات فكرية هجينة، فهي عبارة عن مجرد عينات من مسائل فلسفية حقيقية وأخرى غير حقيقية.

وقد يترتب على هذا أنهم يزعمون معرفة أشياء لا يمكن معرفتها أصلا، ثم يترتب على هذا أنهم بدلا من أن يحاولوا ممارسة المعارف الفلسفية الحقيقية، ينشئون ما يسمى بـ"نظرة عامة إلى العالم"، وحالها أنها قصيرة الأمد، نسيج من الحقيقة والخيال، هجين بين التفكير الواقعي والتفكير الخرافي (١).

أضف إلى هذا: أن القدماء كانوا يعدون الميتافيزيقا علم من أهم العلوم التي ينبغي معرفتها، ووجود طائفة -ربما لهم السيطرة في كثير من الحقبات الزمنية- تقوم على تعاهدها أمر في غاية الأهمية، بيد أن هارتمان لا يرى أن الميتافيزيقا علم أصلا، لأنها إن كانت أسئلة فهي لا تكون علما، وإذا كان من الممكن أن يكون هناك جانب معرفي فيما يسمى

(١) الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص٢٥٦، ٢٥٧.

بالميتافيزيقا فإن هذا الجانب حينئذ سوف يكون من اختصاص الأنطولوجيا ([1]).

وعليه فإن هذه النظم الفلسفية قد ولى زمانها، وما تركوه ليس ذو قيمة إلا فيما أثاروه من مشكلات ([2]).

تعقيب:

وهو إذ يرى هذا الرأي في الميتافيزيقا فإنما يخالف به رأي مؤسس المثالية النقدية الحديثة في الفلسفة الغربية وهو رأي "كنت"، فـ "كنت" يحاول أن يجد يقينا للميتافيزيقا مثل يقين المنطق والرياضيات، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يحاول أن يدفع عن العقل كيد الإرتيابيين ومن إليهم من الحسيين والماديين، فإن ما يعلنه الإرتيابيون من اللامبالاة لهو بمثابة التحدي الموجه إلى العقل، وهذا ما دفع "كنت" إلى التساول عن وجود يقين للميتافيزيقا مثل يقين الرياضة والطبيعة، وهو يشير إلى ذلك فيقول: "حين رأيت ما وصلت إليه الرياضة والفيزيقا –نتيجة لثورة مفاجئة– بدا لي أن مثالهما خليق أن يسترعي التفاتنا إلى طبيعة ذلك التغير في المنهج الذي حقق لهما أحسن الثمرات، وأن يسوقنا إلى تجربة

([1]) قارن بـ رواد المثالية في الفلسفة الغربية للدكتور عثمان أمين ص٨٥، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص٢٨٠.

([2]) الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص٢٧٩ .

محاكاتهما في الميتافيزيقا بقدر ما يمكن أن تقاس عليهما باعتبارهما علمين عقليين"([1]) .

وبناءً عليه فإن كان "كنت" نقد الميتافيزيقا فإنه نقد الميتافيزيقا القطعية، وكل ميتافيزيقا من هذا القبيل تمهيدا لإقامة ميتافيزيقا جديدة([2]).

أضف إلى هذا أن نقد هارتمان للميتافيزيقا لا يخرج من دائرة النقد "الكنتية" فـ"كنت" نفسه هو الذي أسس لدى هارتمان ذلك النقد، وذلك فيما تناوله في رسالته: "التمهيدات لكل ميتافيزيقا مستقبلة" حيث قال فيما قال فيها: "ومقصدي أن أقنع جميع من يرون أن الميتافيزيقا جديرة بالدراسة بأنه لا بد لهم من أن يقفوا –يتوقفوا عن– عملهم لحظة، وأن يتجاهلوا كل ما صنع حتى اليوم، وأن يوجهوا همهم أولا إلى وضع السؤال الآتي: (هل من الممكن إطلاقا وجود شيء كالميتافيزيقا؟) إذا كانت الميتافيزيقا علما، فكيف أنها لم تستطع أن تظفر كالعلوم الأخرى بموافقة إجامعية دائمة؟ وإذا لم تكن علما، فكيف استطاعت أن تسترسل في مزاعمها، وأن تخدع الذهن الإنساني بآمال لا تنقطع أبدا ولا تتحقق أبدا؟" ([3]).

فالبذور الأولى لكون الميتافيزيقا مجموعة من الأسئلة هو من وضع "كنت"، وكذلك التشكيك في كونها علما أو ليست كذلك هو من

([1]) نقد العقل الخالص، نقلا عن رواد المثالية في الفلسفة الغربية للدكتور عثمان أمين ص٨٥.

([2]) رواد المثالية ص١٠١ .

([3]) رواد المثالية ص١٩٣، ١٩٤ .

تأسيسه نفسه، ثم سار على دربه هارتمان حتى انتهى إلى أنها ليست علما أصلا.

فقصد "كنت" الذي رانه هنا: هو إقناع "الميتافيزيقيين" بالصدق مع النفس عند الوقوف معها –النفس– من خلال إثارة الشك في نفوسهم عندما طرح عدة أسئلة عليهم تتعلق بذلك العلم الذي ظنوه أنه أهم العلوم والمسمى بالميتافيزيقا، فإذا كانت الميتافيزيقا علما فلماذا لم تحظ بما حظيت به العلوم الأخرى من إجماع؟! وإذا لم تكن علما فكيف ظلت إلى الآن مسترسلة في عمق الأذهان دون أن يرفضها رافض؟! بل وكيف خدعت الذهن الإنساني بأماني غير منقطعة وليست متحققة؟!

فهذه البلبة المعرفية تجاه الفكر الميتافيزيقي والتي أثارها "كنت" أحدثت في نفس وعقل هارتمان ثورة فكرية، على إثرها انتقد تلك الميتافيزيقا القديمة.

ثم إن القضية تزداد تعقيدا عندما يحاول هارتمان ربط "الأنطولوجيا" بـ"الميتافيزيقا"، حيث إنه يرى أنه من الصعب تناول قضية الأنطولوجيا دون اللجوء إلى الميتافيزيقا.

فأنا موجود، وبوصفي ذاتا عارفة تتطلع إلى معرفة الوجود، والذي هو مستقل عني، وأنا داخله؛ فكيف أستطيع أن أدرك الوجود – وأنا مستقل عنه، وأنا داخله، ومتضمن فيه، وهو يحتويني؟

فالإنسان موجود، ووجوده مستقل، وكذا الوجود –نفسه– مستقل في ذاته، فكيف يعرف الواحد منا الوجود، وهو في ذاته داخل الوجود، والوجود مستقل عنه.

وهذا يبين بوضوح أن "مشكلة -الأبستمولوجيا- المعرفة في أساسها مشكلة أنطولوجية، مشكلة تدور حول الوجود، وهناك استحالة في تناولها دون الإلتجاء إلى الميتافيزيقا" (١).

والمقصود بالميتافيزيقا هنا هو النقد، بيد أنه من نوع النقد البناء، وليس من نوع النقد الذي ذهب إليه "الكنتيون الجدد"، ولكنه نوع من النقد الذي يصل بنا إلى بناء قواعد على أسس جديدة للبحث في عملية الوجود.

وقد يبدو أن ما استنتجه هارتمان هنا لا يعدو كونه توفيقا أو تلفيقا ، فهو من ناحية انتقد "الكنتيين" لقولهم بأن الميتافيزيقا عند "كنت" بمعنى النقد، ومن ناحية أخرى أيد رأي "هيدجر" الذي كان رأيه في المسألة أن الميتافيزيقا عند "كنت" عبارة عن بحث في الوجود، فيبدو أنه أراد أن يوفق أو يلفق بين الرأيين، فذهب إلى أن المراد بالميتافيزيقا ليس نقد "الكنتيين" وإنما هو نقد على كل حال، يصل بنا في النهاية إلى أنها بحث في أسس جديدة للبحث في مسألة الوجود، وهو رأي "هيدجر"!

فهل هذا يعد محاولة توفيقية -ممزوجة بتلفيق الآراء ببعضها- بين الرأيين؟

وهذا يعني أن هارتمان عندما يتحدث عن ما يسمى بالميتافيزيقا النقدية فإنما يقصد بها ميتافيزيقا الوجود، وبمعنى أوضح أن كلمة نقد تعني أن تُشيّد الميتافيزيقا بعيدا عن أية نظريات سابقة أو تصورات خلفية من المعارف المحددة بطابع معين.

---

(١) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٧٩.

وقد أشار "كولنجوود"([1]) إلى أن النقد "الكنتي" هو أشبه بأن يكون مدخلا إلى الميتافيزيقا الصحيحة التي ينبغي أن تقوم في المستقبل([2])، ورأي "كولنجوود" هذا مما يكثر من إثباتات تأثر "هارتمان" الواضح بالآراء "الكنتية".

ولكن هذا يطلعنا على نقطة إضافية من آراء هارتمان الفلسفية والخاصة بنظريته في الأبستمولوجيا وهو: أنه إذا استبعدنا مشكلة الوجود من المعرفة فهذا يعني أننا استبعدنا الجوهر الأساسي لنظرية المعرفة ([3]).

بهذا المعنى تكون الميتافيزيقا عند هارتمان عبارة عن نقد، بيد أنها ليست بالمعنى الذي خلص إليه "الكنتيون"، وقد يتأكد من خلال هذا أن ما يميز مذهب هارتمان المعرفي أن: نظرية (الأبستمولوجيا) المعرفة تتضمن (ميتافيزيقا) (الأنطولوجيا) الوجود؛ ولكن يظل من المستحيل التوحيد بين الميتافيزيقا والنقد توحيدا كاملا.

ويبدو أن هارتمان يوجه نقده "للكنتيين الجدد" من خلال نظريته تلك في المعرفة، حتى وصفهم بالهروب من مشكلة المعرفة الأساسية وهو: "الجانب الميتافيزيقي المتعلق بالوجود"، وحيث يردون المعرفة إلى الجانب المنطقي والنفسي فقط، وهدفهم من ذلك هو إقامة نقد للمعرفة

---

(١) روبن جورج كولنجوود، فيلسوف إنجليزي ولد سنة ١٨٨٩م بإنجلترا وتوفي بها سنة ١٩٤٣م، درس بأكسفورد، وعمل أستاذا للميتافيزيقا، له عدة مؤلفات فلسفية منها: الدين والفلسفة، مجمل فلسفة الفن، خريطة المعرفة، مقالة في الميتافيزيقا، مقالة في المنهج الفلسفي. انظر: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ص٢٣٧، ٢٣٨ .

(٢) رواد المثالية في العصر الحديث ص١٠٢ .

(٣) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٧٩.

يكون بديلا عن الميتافيزيقا، لكنهم غافلون عن أن الميتافيزيقا شرط ضروري للنقد، ومن هنا يمكن القول –على رأي هارتمان–: إنه لا نقد بلا ميتافيزيقا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أن الميتافيزيقا ضرورية لإقامة نقد لنظرية المعرفة ([1]).

ويبدو أن الخلاف بين هارتمان و"الكنتيين الجدد" إنما يرجع إلى الخلاف في منهجية نقد المعرفة، هل هو نقد ميتافيزيقي أم نقد على أي حال؟

ذهب إلى الأول هارتمان وإلى الثاني "الكنتيون الجدد".

نخلص من هذا إلى أن فهم هارتمان للميتافيزيقا القديمة، يعتبر فهما مغايرا للفهم التقليدي، فهي ليست علما، وإنما هي مجرد مجموعة من الأسئلة، والتي لا يمكن الإجابة عنها، "نفهم الآن، بالنظر إلى هذا النقد لميتافيزيقا القدماء، على أي نحو كان هارتمان يفهم مصطلحي الميتافيزيقا والأنطولوجيا، على عكس المعنى التقليدي القديم للكلمة، فإن الميتافيزيقا ليست علما عند هارتمان؛ بل هي مجموعة من الأسئلة لا يمكن تقديم أية إجابة عنها" ([2]).

([1]) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٨٠.

([2]) الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص٢٨٠ .

المطلب الرابع: قوام المعرفة عند هارتمان "طبيعة الأبستمولوجيا"

أغلب الاتجاهات الفلسفية التي تتحدث عن نظرية المعرفة تحاول أن ترد العلاقة بين الذات والموضوع إلى الطرف الآخر، فالعلاقة بين الذات والموضوع في نظر الواقعية ترجع إلى الموضوع، فالموضوع الأصل والذات راجعة إليه، والذات عند المثالية هو الأصل، فالمثالية ترى أن حل المشكلة بأن يرد الموضوع إلى الذات، ويأتي مذهب ثالث وهو الواحدية، فيقوم بحل المشكلة من خلال ابتداع أو ابتكار طرفا ثالثا، قد ظنوه أساسا أعلى من الذات والموضوع، فيه يتحد الطرفان في حقيقة واحدة، تجمع بينهما (١).

أما عند هارتمان فإن المعرفة تقوم على ركنين أساسيين، هما ركنا الذات والموضوع، فلا يمكن أن تتم المعرفة إذا فُقِد أحد الطرفين، ولكن أيهما يعلو على الآخر؟ وإن شئت قلت كيف تتم المعرفة على نحو ما يراه هارتمان؟

إذا كان أحد طرفي المعرفة هو الذات، وطرفها الآخر هو الموضوع، فإن هارتمان يرى أنه لكي تتم المعرفة ويلتقي الذات بالموضوع، وتصبح الذات مدركة لموضوعها فإنه لابد أن تعلو الذات على نفسها، ثم لابد من عودها مرة أخرى لنفسها كي تدرك الموضوع، حيث لا تتم عملية الإدراك إلا بعد عملية خروج الذات عن نفسها، ثم عودها مرة ثانية، وهنا تتم عملية الإدراك الناتج عن الوعي، وتتم حركة الذات هذه دون أن يتغير شيء في الموضوع الذي يظل مفارقا وعاليا عن الذات، فلا يتغير ولا

(١) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٨٣ .

يتشكل، ولا يتدخل هو –بأي نوع من أنواع الحركة– في عملية إدراك الذات له (١).

وهذا يعني أنه لكي تتم عملية المعرفة، وتصبح الذات مدركة لموضوعها، فلابد أن تقوم الذات بعملية مفارقة لحظية لمحلها عند بداية عملية الإدراك –حتى ولو كانت تلك المفارقة مجرد خيالية (تجري في نفس وخيال هارتمان)–، ثم تحصل على صورة –من خلال ما يمكن أن يسمى بحبس ظل الموضوع عن طريق التصور أو التخيل العقلي– للموضوع كيفما كانت، ثم تعود مرة أخرى لنفسها، –محللة ومفسرة وموضحة وكاشفة– فتتم عملية الوعي –داخل الذات– الذي يترتب عليه المعرفة بالشيء.

كل هذا ويظل الموضوع بعيدا عن أن يتشكل أو أن يتغير، فالتغير الحاصل إنما هو للذات العارفة التي تفارق نفسها –كاشفة عن موضوعها– ثم تعود لها مرة أخرى مدركة له (٢).

وهذا يعني أن العلاقة بينهما علاقة استقبالية من جانب الذات للموضوع، وقد تبدو من طرف خفي علاقة واحدية (٣)، مما قد يشكل إبرازا لبعض مؤثرات الواحدية في الفكر الهارتماني.

---

(١) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٨٠.

(٢) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٨١.

(٣) في نظر بوشنسكي، وهو يعني من هذا أن واحدية الحركة والنشاط من جانب الذات، والدليل على ذلك أنه قال بعد ذلك بقليل: إن علاقة المعرفة هي علاقة بين الذات الحقيقية والموضوع في ذاته، انظر: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص٢٨١.

وبذلك تتألف ماهية المعرفة، فلا فضل في المعرفة للذات على الموضوع، ولا للموضوع على الذات، فكلاهما لابد من وجوده لتتم العملية المعرفية، وإن كان من الممكن نسبة -بعض- الفضل في إتمام عملية المعرفة إلى الذات التي تتحرك -تحركا خياليا- ذهابا وإيابا لإتمام الإدراك، ومع ذلك يظل وجود الموضوع طرف أصيل لإتمام عملية الإدراك (١).

فالمنهج الذي يسير عليه هارتمان لحل تلك المعضلة هو ما سماه بـ: أنطولوجيا المعرفة والتي "تنظر إلى الذات والموضوع على نحو متساو بوصفهما يجسدان وجودا حقيقيا مستقلا" (٢).

فكلا من الذات والموضوع يلتقيان لقاء المدرِك -الذات- للمدرَك - الموضوع، على أن يظل الموضوع كما هو، والتفاعل إنما هو للذات.

تعقيب:

هارتمان لا يخرج فيما ذكره من علاقة الذات بموضوعها عما ذكره بعض معاصريه (٣)، والذي يرى أن العلاقة بين عنصري المعرفة علاقة حضور مشترك، فالموضوع مستقل عن الوعي، ولا يطرأ على هذا

---

(١) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٨١.

(٢) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٨٣.

(٣) أقصد صموئيل ألكسندر (١٨٥٩ – ١٩٣٨م) انظر: فؤاد كامل أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ص٦٥.

الموضوع تغير بسبب حضور الوعي أمامه، وهذا ما تؤكد عليه الواقعية(١) .

وقد يشبه هذا إلى حد كبير رأي بعض الفلاسفة المسلمين (٢) والذي يرى أن في هذا اللقاء المباشر بين المدرِك والمدرَك تدرك النفس موضوعها، "بعين النفس التي هي ذاتها" على حد تعبيره تماما، والذي يبين إلى حد كبير مدى تأثر الفكر الغربي عموما بالفكر الإسلامي الأصيل.

ومما يبن طبيعة المعرفة أكثر هو الحديث عن البعد الأنطولوجي في المعرفة، وهو عنوان النقطة القادمة.

البعد الأنطولوجي في النظرية الأبستمولوجية:

فإذا كانت المعرفة تتم من خلال حدوث التلاقي بين الذات والموضوع، أو لقاء المدرِك للمدرَك، فإنه لا يمكن أن تتم عملية الفكر إلا في شيء موجود.

---

(١) وهذا مما قد يؤكد التأثر الواضح للفكر الهارتماني بأفكار معاصريه، ومنها الواقعية الجديدة، وسوف يأتي الحديث عنها بعد قليل. انظر: أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ص٦٥ .

(٢) أقصد (ابن ملكا البغدادي) وهو أبى البركات هبة الله ابن علي بن ملكا البغدادي. انظر: المعتبر في الحكمة (٢/ ٣٩٩)، ط الأولى سنة ١٣٥٧هـ، دائرة المعارف العثمانية. وانظر: الدكتور يحيي هويدي دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية ص٢٨٢، ط سنة ١٩٧٩م، دار الثقافة للطباعة والنشر.

وهذا يفسر البعد "الأنطولوجي" في النظرية "الأبستمولوجية" عند هارتمان، حيث إنه يرى أنه لا يمكن للعقل أن يفكر إلا في شيء موجود، والعدم ليس له محل من التفكير، فـ"جوهر الفكر ألا يستطيع التفكير إلا في (شيء ما)، وليس في (العدم)، وهذا (الشيء ما) هو الذي يؤدي إلى وضع مشكلة الوجود" (١).

تعقيب:

قول هارتمان بأنه: لا يمكن التفكير إلا في شيء ما، يشبه إلى حد كبير قول "كنت" الذي قال فيه: "إن حدوسا من غير تصورات تكون عمياء، وإن تصورات من غير حدوس تكون فارغة" (٢).

أو بتعبير "هنتر ميد": "التصورات بدون الإدراكات فارغة، والإدراكات بدون التصورات عمياء" (٣).

فهذا القول لهارتمان وأيضا "كنت" "وميد" يبين بوضوح أن الفكر على رأيهم لا يكون إلا في شيء مشخص، ولا يكون الشيء المشخص إلا بوجود ذات عاقلة تتصوره.

ثم إن عنوان كتاب هارتمان: "ميتافيزيقا المعرفة" قد يراد به: "أن كل نظرية للمعرفة يجب أن تقدم نفسها بوصفها جزءا من الأنطولوجيا العامة" (٤).

---

(١) الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص٢٧٩ .

(٢) الدكتور عثمان أمين رواد المثالية في الفلسفة الغربية ص٦١ .

(٣) هنتر ميد الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ص١٩٤، ترجمة الدكتور/ فؤاد زكريا، ط الثانية سنة ١٩٧٥م، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

(٤) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٧٩ .

ومن هذا يظهر ليس مدى ترابط النظرية الأبسمولوجية بالنظرية الأنطولوجية فقط؛ بل يظهر أيضا علاقة الميتافيزيقا بالنظرية الأبستمولوجية.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ماذا عن الأفكار السابقة على المعارف المكتبسة من الواقع، والذي يعرف بالأفكار الفطرية؟

هذا ما سوف تناقشه الأسطر القادمة.

ما بعد الموضوعي:

اختلفت المذاهب الفلسفية تجاه ما يسمى بأفكار سابقة "معارف فطرية ([1])" مركوزة في العقل، فأنكرها التجريبيون ومنهم "جون لوك"([2]) على سبيل المثال، والذي يعتبر أول من ألقى الضوء على مشكلة المعرفة في الفلسفة الحديثة، أما موقفه من الأفكار السابقة أو الفطرية فهو

([1]) ومن مميزات المعارف الفطرية أنها بسيطة وواضحة، وتستمدها النفس من ذاتها قبل اتصالها بالعالم الخارجي. انظر: الدكتور/ جميل صليبا المعجم الفلسفي ج٢ ص١٥٨، ط ١٩٨٢م دار الكتاب اللبناني بيروت .

([2]) جون لوك ولد سنة ١٦٣٢م بانجلترا، يعتبر من أهم ممثلي الاتجاه التجريبي، له مؤلفات عدة منها: محاولة في الفهم البشري، حول الحكم المدني، رسائل حول التسامح، وغيرها، توفي بانجلترا سنة ١٧٠٤م. انظر: معجم الفلاسفة ص٥٩٨ وما بعدها.

ومن أبرز ممثلي الاتجاه التجريبي كذلك ديفيد هيوم (١٧١١- ١٧٧٦م) الذي يذهب إلى أن كل معارفنا تتألف من الإدراكات الحسية التي تأتي من التجربة، وبالتالي هو أيضا يرفض المعارف الأولية. انظر: الأستاذ الدكتور/ إمام عبد الفتاح إمام مبادئ التفكير الفلسفي ص ٣٤، ٣٥، ط الثالثة ٢٠١٦م، وزارة التربية الكويت.

ينكرها، ويعتقد أن الحواس والتجربة الحسية هما فقط مصدر المعرفة الإنسانية، أما العقليون([1]) فقد أقروا المعارف الفطرية، والكثير من المثاليين كذلك.

أما هارتمان فإنه يقرر بوجود المعارف السابقة المركوزة في العقل والسابقة على كل تجربة، وهو يسمي هذه المعارف بـ"ما بعد الموضوعي" فالمراد بما بعد الموضوعي في الفلسفة الهارتمانية هي تلك المعارف السابقة والموجودة لدى الذات، وهي ما يسمى بالمعارف الفطرية، أو معارف سابقة على معارف حادثة بعدها.

فعند التقاء الذات بالموضوع تحدث المعرفة – معرفة ما –، هذه المعرفة تضع مفهوما يجاوز العلاقة بين الذات والموضوع، هذه العلاقة هي ما يسميها هارتمان بـ – الموضوعي– وقد تحدث هنا مشكلة –على رأيه– وهي أن المفهوم –المعرفة– الحاصل من التقاء الذات بالموضوع لا يلتقي مع المفاهيم القديمة الحاصلة بالفعل داخل الذات –ما بعد الموضوعي– فيحدث نوع من التوتر له قيمة كبيرة ([2]).

([1]) يعتقد العقليون بوجود معارف أولية سابقة على كل تجربة، وأن العقل بقوانينه ومبادئه الأولية السابقة على كل تجربة مصدر كل معرفة، وهذه المعارف تتسم بالضرورة، وبالتالي فهي لا تقبل الاحتمال ولا التعديل، وكذلك لا تتوقف على الأفراد الظروف، ومن هنا كانت فطرية ، ومن أهم ممثلي هذا الاتجاه في الفلسفة الحديثة رينيه ديكارت (١٥٩٦ – ١٦٥٠م). انظر: مبادئ الفلسفة ص٣٧ .

([2]) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٨١.

مركزية الأفكار الفطرية وقيمة التوتر القائم بين الموضوعي وما بعد الموضوعي:

الموضوعي هو المعرفة الحاصلة من التقاء الذات بالموضوع، ولكن عند التقاء الموضوعي –المعرفة المتأخرة– بما بعد الموضوعي – المعرفة السابقة "الفطرية مثلا"– يحدث توتر دائم، هذا التوتر يحدث بسبب عدم التطابق بين ما هو معروف سابقا لدى الذات –ما بعد الموضوعي– وما هو لاحق من معرفة حاصلة من التقاء الذات بموضوعها –الموضوعي–، فهذا التوتر ينشأ لعدم وجود تطابق بينهما، ويترتب على هذا القلق بينهما ما يسميه هارتمان بـ "الشعور أو الوعي بالمشكلة" بالإضافة إلى ما يسميه بـ "بالعملية اللامتناهية للمعرفة"، وهنا يظهر أن: مركز العلاقة بين الذات والموضوع هي: تلك المعرفة الكامنة في الذات، والتي أطلق عليها هارتمان "بعد الموضوعي" (١)، فالذي يميز العلاقة بين الذات وموضوعها هي تلك المعارف الكامنة السابقة على المعارف الحاصلة، فإنها تُحدِث من القلاقل والتوترات لما يَفِدُ عليها من معارف أخرى، فيتسبب ذلك في بروز الوعي بالمشكلة .

تعقيب:

المعارف الفطرية، أو كما يسميها هارتمان بـ"ما بعد الموضوعي" هي أفكار لها مركزية، وهي سابقة على كل تجربة، فـ(الله والنفس والحركة والامتداد) معاني فطرية كما يرى "ديكارت"، و(الجانب الصوري للإدراكات العلوم الإنسانية كله فطري بما يشتمل عليه من صورتي الزمان والمكان)

(١) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٨١.

كما يرى "كنت"([1])، أو كما هو مقرر لدى علماء الكلام المسلمين، فالكل أكبر من الجزء، أو الواحد نصف الاثنين، استحالة اجتماع النقيضين، مما لا يحتاج إلى برهان أو تجربة سابقة لتقرر صحته، ومن هنا فقد أقر العقليون والمثاليون هذه الأفكار، بل ومنهم من اعتقد بجوهرية تلك الأفكار أو مركزيتها كما هو عند هارتمان، أما إنكارها كما ذهب إليه التجريبيون فإنه ليس له صدى عند أغلب الفلاسفة ومن لهم اعتبار في عالم الفكر.

أما أن ينشأ بين المعارف السابقة أو الكامنة في النفس والمعارف اللاحقة لها علاقة على توترية، فهذا مما لم يظهر جيدا في فكر هارتمان، ولا أجد له مبررا قويا، فالأصل أن تنشأ علاقة تكاملية بين السابق واللاحق، لأنها على أقل تقدير ليست أضادا يضاد بعضها بعضا، فنفهم مثلا من قاعدة كبيرة مثل التي تقول: "النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان" أنه لا يمكن أن يخلو جسم من الحركة وعدمها معا، أو أنه لا يمكن أن يجتمع السواد وعدمه على السواء في وقت واحد في جسم واحد، وهكذا .. فالعلاقة التوترية التي تخيلها هارتمان ليس لها ما يبررها تبريرا قويا.

ولكن تبرز هنا مشكلة أخرى، وهي ما يسمى بمسألة النقائض أو بالبحث عن الشكوك، وهو عنوان المطلب التالي.

([1]) السيد محمد باقر الصدر فلسفتنا ص٥٩، "دراسة موضوعية في معترك الصراع الفكري القائم بين مختلف التيارات الفلسفية وخاصة الفلسفة الإسلامية والمادية والديالكتيكية"، دار التعارف للمطبوعات، بدون تاريخ،

المطلب الخامس: البحث عن الشكوك

تعتبر مسألة "النقائض" أو الشكوك كما يسميها هارتمان من المسائل ذات البال الكبير عند "كنت" حيث يشغل جزء كبير من كتابه "نقد العقل الخالص" بكشف المغالطات الناتجة عن تطبيق فكرتي الزمان والمكان على الأشياء التي لم تخضع للتجربة، وقد طرح "كنت" أربعة نماذج لقضايا متناقضة، كل منها في الظاهر يمكن إثباته –على ما يرى– وإثبات نقيضه.

ففي المناقضة(١) الأولى –التي تدور حول وجود عالم مستقلا عن تجاربنا الحسية– تناول قضية أن: "للعالم بداية في الزمان، وهو محدود من حيث المكان" ثم أثبت عدم صحتها، ثم تناول القضية المناقضة لها وهي: "ليس للعالم بداية في الزمان، وليس له حدود في المكان، فهو لا متناه زمان ومكانا"، ثم أثبت عدم صحتها كذلك.

وعلى هذا فقد أبطل النقيضين القول: بوجود بداية ونهاية للعالم زمانا ومكانا، والقول: بعدم وجود بداية وعدم وجود نهاية للزمان والمكان، "وتبقى فكرة الزمان والمكان في ذاتيهما" .

---

(١) المناقضة هي: كل قول مغالط نجد فيه قضيتين متناقضتين تماما، بحيث إن إحداهما لا تصلح إلا بإبطال الأخرى. انظر: تاريخ الفلسفة الغربية برتراند رسل الكتاب الثالث الفلسفة الحديثة ص٣٢١، تاريخ الفكر الفلسفي "الفلسفة الحديثة" ج٤ ص٢٦١.

وقد حل "كنت" هذه المناقضة بأن اعتبر أن الزمان والمكان ليسا شيئا في ذاتيهما؛ بل هما صورتان لإدراكنا، وعلى ذلك فإن القول بوجود عالم منفصل أو مستقل عن تجاربنا غير صحيح؛ بل لا معنى له .

وعلى سبيل المثال: إدراك الشخص لشيء من الأشياء إنما لا يتم إلا في مكان معين، وآن محدد، وهذا يعني أن الزمان والمكان صورتان للإدراك، وبالتالي فهما ليسا خاصيتين بعالم مستقل عن تجاربنا الحسية([1]).

المناقضة الثانية: وهي تدور حول الجوهر، أو "المادة" وهل هي منقسمة بالفعل إلى أجزاء أم ليست منقسمة؟

فاستدل على فساد القضية القائلة بأن: المادة منقسمة إلى أجزاء، وكذلك استدل على فساد القضية المناقضة لها وهي أن: المادة ليست منقسمة إلى أجزاء.

أما عن كيفية حله لهذه المناقضة فهو: أنه قد اعتبر أن المادة منقسمة أو ليست كذلك إنما يرجع إلى ما يتراءى لنا من خلال التجارب الحسية، والتي لا تخرج عن الزمان والمكان والفهم بأي حال من الأحوال([2]).

([1]) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية برتراند رسل الكتاب الثالثة ص٣٢١، تاريخ الفكر الفلسفي ج٤ ص٢٦٢.

([2]) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية برتراند رسل الكتاب الثالثة ص٣٢١، تاريخ الفكر الفلسفي ج٤ ص٢٦٢.

المناقضة الثالثة: وهي تدور حول مبدأ الحتمية، وفيها يبرهن على فساد القضية القائلة: إن جميع الظواهر تخضع لمبدأ الحتمية، ثم يبرهن على فساد نقيضها وهو أن: جميع الظواهر لا تخضع لمبدأ الحتمية.

أما عن حله لهذه المناقضة فهو: يرى أن المبدأ العقلي القائل: إن لكل معلول علة، أو لكل سبب مسبب، إنما يرجع إلى ما يتعلق بتجاربنا المحدودة، فنحن الذين نقوم بتركيب هذه التجارب، ولكن من الممكن ألا ينطبق هذا المبدأ العام على عالم الأشياء في ذاتها؛ لأننا لا نعرف عنه شيئا.

ويلاحظ على هذا الحل أنه حل لا يعدو أن يكون حلا جزئيا، فهو يقبل بمبدأ الحتمية؛ ولكنه يقبله بشرط إجراء التجارب الحسية، فهو ينفع فيما يقع تحت حواسنا وفي المعامل من تجارب، أما أن يصبح هذا المبدأ –لكل معلول علة– مبدأ كليا عاما، فهذا إنما يقع تحت طاولة رفض "كنت".

وربما هو بذلك لا يريد أن يجرح "الماديين"، أو ما استكن في نفسه من تأثر بالاتجاه المادي، حيث يتعلل بأنه لو أصبح ذلك القانون – لكل معلول علة– قانونا كليا عاما، فسوف يقوم العقل حينها بالاستدلال على وجود أشياء تجاوز نطاق التجربة، أو بلفظ آخر: سوف يستدل الذهن –إن تركنا له العنان باستعمال هذا المبدأ– على وجود علة أولى، فيقع فيما وقع فيه السابقون من أخطاء، عندما استدلوا على وجود العلة الأولى من خلال استحالة تسلسل العلل والمعلولات إلى ما لا نهاية، فأثبتوا

بذلك –العلة الأولى– من خلال إجراء هذا القانون إجراء كليا وهو: أن لكل معلول علة ([1]).

المناقضة الرابعة: وتدور هذه المناقضة في فلك المناقضة السابقة، فتقول قضيتها الأولى: يوجد موجود ضروري مطلق، هو الله، هو علة العالم، أو جزء منه، ويستدل على فساد هذه القضية، ويقول في مناقضتها: لا يوجد موجود ضروري هو الله، ويستدل أيضا على فساد هذه القضية ([2]).

ولم يخرج علاج "كنت" لهذه المناقضة عما ذكره في المناقضة السابقة، حيث إنه قد عزاه إلى التجربة الإنسانية، فإن كان لا يوجد في التجارب الإنسانية أي فكرة عما يسمى بالموجود الضروري، فإنه كذلك لا يمكن أن يوجد في التجارب الإنسانية إثبات عدم وجوده.

وإن كان "كنت" يثبت وجود الله، فإن ذلك من خلال ما سماه بـ"العقل العملي" أما ما أطلق عليه "العقل النظري" فلا يمكن إثبات وجود الله من خلاله .

([1]) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية برتراند رسل الكتاب الثالثة ص٣٢١، تاريخ الفكر الفلسفي ج٤ ص٢٦٢، ٢٦٣.

([2]) وتعتبر تلك الفكرة من الأفكار المؤسسة لنوع جديد من أنواع الإلحاد، وهو ذلك النوع من الإلحاد الذي يؤمن أن: قضايا الألوهية والغيب لا يمكن إثباتها وإقامة الحجة عليها، وفي نفس الوقت لا يمكن نفيها باعتبارها فوق قدرة العقل على الإدراك، وقد يسمى صاحب هذا النوع من الإلحاد بـ"اللأدري". انظر: الدكتور/ عمرو شريف خرافة الإلحاد ص٢٨، ط الأولى سنة ٢٠١٤م، مكتبة الشروق الدولية .

يلاحظ أن "كنت" فيما ذكره من نقائض يحاول أن ينفي القضية ونقيضها، أو هو يقول بإمكانية نفي الأمرين معا، نفي الشيء ونفي نقيضه (١).

ولكن ألا يعني هذا أن أدلة أحد النقيضين ضعيفة -على أقل تقدير- ونقيضها ليس كذلك! بل وربما أدلة النقيضين جميعا ضعيفة!! وبالتالي يحار العقل في ترجيح أحدهما على الآخر!

ثم إنا إذا ركنا إلى التجارب الحسية -التي تخضع لعالم الحواس- وما تعطيه لنا من منتجات يكون محل الإيمان والتصديق، فقد غرقنا في عالم المادية، وأصبح العقل على ما يقول الحسيون سلبيا، ليس له إلا أن يقبل ما يرد عليه من عالم الحس، دون تصرف.

أضف إلى ذلك أن قضية: النقيضان العقليان لا يجتمعان ولا يرتفعان لا يمكن أن تتخلف بأي حال من الأحوال!

وتعبر فكرة النقائض تلك من أهم الأفكار التي سيطرت على الفكر "الهجلي" حتى لو أنه انتقد "كنت" كثيرا إلا أنه سار على فكرة النقائض سيرا تاما، على حد تعبير صاحب "تاريخ الفلسفة الغربية" (٢).

أما هارتمان فأنه يرى أنه من الخطأ محاولة البحث عن حل للشكوك، فهذا كلام فارغ من المحتوى؛ وذلك لأن الشكوك عبارة عن نقائض حقيقية، فهي لا تعدو أن تكون مجرد شكوك، ولكن من الممكن

---

(١) تاريخ الفلسفة الغربية برتراند رسل الكتاب الثالثة ص٣٢١، تاريخ الفكر الفلسفي ج٤ ص٢٦٢..

(٢) برتراند رسل ص٣٢١ .

وصف تلك النقائض أو هذه الشكوك، لهدف هام هو العمل على إيجاد – أو اكتشاف– مبدأ يعمل على حفظ التوازن بين النقائض.

والسؤال هنا: ما المراد بالنقائض أو الشكوك عند هارتمان؟

هناك ما يسمى بـ "دائرة الفكر" أو نقيضة الوعي، ونقيضة الموضوع، ونقيضة وعي المشكلة، وغيرها.

فنقيضة الوعي أو دائرة الفكر تعني: أن الذات تعلو على نفسها عند محاولة المعرفة أو الإدراك، وهي في هذه الحالة تجبر الوعي على أن يتجاوز ذاته، لكن من ناحية أخرى يكون الوعي واعيا بما يعلو عليه، وفي هذه الحالة يجعل المضمون –المفهوم– العالي كامنا أو محايثا فيه، والعلو نفسه يصبح مضمونا للفكر .

أما نقيضة الموضوع: فإن هارتمان يرى أن الموضوع يُعيّن الذات، فالسؤال حينئذ كيف يعين الموضوع الذات وهو عال عليها؟ ([1])

ومعنى أن الموضوع يُعيّن الذات، أن الذات تتحدد بالموضوع، فكأن الذات لها أبعاد، وهذه الأبعاد تتحدد أو تتعين بالموضوع، فتكون أطراف الموضوع هي أبعاد الذات.

وما سماه هارتمان بنقيضة الموضوع أقصد: "تعيّن الذات بالموضوع" هنا أشبه ما تكون بفكرة "كنت" عما سماه بـ"تعين العقل النظري بالعقل العملي"، "إن العقل النظري يتعين بحاجات العقل العملي

([1]) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٨١ .

حينما يتناول أفكار ما هو غير مشروط، وهي أفكار تتجاوز حدوده" (١)، وربما تكون الفكرة هي هي، ولكن بألفاظ مختلفة، أو بصياغة مختلفة بعض الشيء، أو بكليهما.

بالإضافة لذلك فهناك ما سماه بوعي المشكلة، وفكرة العملية اللانهائية للمعرفة! (٢).

ويقصد هارتمان بوعي المشكلة، هو حالة القلق التي تنشأ من إلتقاء تلك المعارف –التي تنشأ من لقاء الذات بالموضوع– مع المعارف السابقة المركوزة –الفطرية– في العقل، فتحدث زعزعة معرفية، بين كلا المعارف السابقة واللاحقة، وقد أدى لذلك عدم توافق ما هو مركوز في الذهن مع ما استجد من معارف.

أما فكرة العملية اللانهائية للمعرفة التي يعتبرها هارتمان من النقائض أو الشكوك، فإنها أشبه بأن تكون صدى "للجدل الهجلي" وفكرته قائمة على أن الجدل هو السلم الذي يوصلنا للمعرفة المطلقة، فيرى "هيجل"(٣) أن الفكرة المطلقة تمر خلال جدل ينطوي على ثلاثيات متعددة،

---

(١) ج . بنروبي مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا ص ٢٥٠، ترجمة: الدكتو/ عبد الرحمن بدوي، مراجعة: محمد ثابت الفندي، ط ١٩٦٤م مكتبة الأنجلو المصرية .

وبهذا المعنى "الكنتي" يعد "كنت" بمثابة رائد للبرجماتية المعاصرة، على حد وصف بنروبي مؤلف الكتاب.

(٢) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٨١، ١٨٢ .

(٣) جورج فيلهلم فريديش، فيلسوف ألماني، ولد سنة ١٧٧٠م، من أهم من تأثر بهم: "كنت" و"شيلنغ"، له مؤلفات عدة منها: فنومنولوجيا الورح، موسوعة العلوم الفلسفية، ==

والمراد بتلك الثلاثيات المتعددة أن: المسألة الجدلية تتألف من الشيء ونقيضه والمركب منهما، وهكذا تتصاعد المعرفة إلى أن تصل إلى المعرفة المطلقة، ويبدو أنها عملية لا نهائية لأنها توصل في النهاية إلى الحقيقة المطلقة أو المعرفة المطلقة ([1]).

وهو وإن كان يقرر أن هناك معرفة تنشأ مع اللامعرفة، فإنه يرى في نفس الوقت أن هذا أمر يثير الريب والشك، فكيف تنشأ من معرفة اللامعرفة معرفة إيجابية وحتمية أيضا في آن واحد؟ ([2]) .

ثم يضيف شك آخر هو: إذا كانت المعرفة تجاوز نفسها خاصة – في مسألة وعي المشكلة– متجه صوب ما يسمى بالوجود العالي، فإن هذا الوجود نفسه يحتاج إليه في تأسيس المعرفة، وبهذا نكون كأننا وقعنا في دائرة مفرغة وهي أن: الأنطولوجيا يجب أن تتأسس على الأبستمولوجيا، والأبستمولوجيا تطلب من الأنطولوجيا أن تبررها! ([3]).

أما فكرة تأسُس الأنطولوجيا "الوجود" على الأبستمولوجيا "المعرفة" وأنها فكرة تناقضية، فإنه يعني بهذا أنه لا يمكن إدراك الوجود بدون المعرفة، ولن تتحقق المعرفة إلا إذا كان هناك وجود حقيقي تظهره

==

مبادئ فلسفة القانون، دروس في فلسفة التاريخ، وغيرها، توفي سنة ١٨٣٠م. انظر: معجم الفلاسفة ص٧٢١ وما بعدها.

([1]) تاريخ الفكر الفلسفي (الفلسفة الحديثة) ص٣١٧، ٣١٨ .

([2]) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٨٢ .

([3]) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٨٢ .

المعرفة، والمفترض أن الوجود أسبق، فالوجود قائم فكيف يتأسس حالتئذ على المعرفة؟!

وبهذا يكون هارتمان تجاوز المنهج الفنومنولوجي الذي يقف عند حد وصف ظاهرة الأبستمولوجيا إلى المنهج الأنطولوجي الذي يثير النقائض والشكوك (١).

تعقيب:

إذا عقبنا على هارتمان في نظريته في النقائض أو ما سماه هو بـ"الشكوك": فسنرى أنه قد تجاوز المنهج "الكنتي" –ودخل في المنهج الفنومنولوجي ومنه إلى المنهج الأنطولوجي ثم– إلى المنهج "البرجماتي" حيث إنه –كنت– قد حاول أن يضع حلا لما قدمه من نقائض، أما هارتمان فقد رأى أو تراءى له أن من العبث البحث عن حل لتلك النقائض، فهي من وجهة نظره أنها "نقائض حقيقة" وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يمكن أن يكون لها حل جذري، فلذلك يكون حلها بطريقة نفعية أو برجماتية من خلال تركها أصلا وعدم البحث فيها .

وبتأثره بالمنهج "الفنومنولوجي" يتبين أنه يرى أن قيمة البحث في مسألة النقائض يتوقف عند وصفها فقط ليس إلا.

ويبرز الاتجاه النفعي مرة ثانية في فكر هارتمان عندما يقرر أن الهدف العام من بحث النقائض إنما يرجع إلى محاولة اكتشاف مبدأ يكون من شأنه العمل على حفظ التوازن بين تلك النقائض، كي لا تتعارض مع

---

(١) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٨٤، ١٨٥ .

فكر الإنسان ومعارفه، فليس الهدف من بحثها هو حلها، وإنما فقط للتعامل معها.

ولا يخفى مدى تلك الشكوك التي أثارها هارتمان عن علاقة الأبستمولوجيا بالأنطولوجيا، وأنها داخلة في صلب النقائض والتي ربما لا تجد حلا.

المطلب السادس: "الموجود بذاته" و"المتعالي" في النظرية الأبستمولوجية

من المفاهيم التي اشتهرت عند الفلاسفة الوجوديين لفظة التعالي، أو المتعالي، ولكن قد يختلف معناها من فيلسوف لآخر، فبينما يعلن "كلاكجارد"(١) إيمانه بالألوهية، وكذا "مارسل"، نجد "ياسبرز"(٢) – وهو أحد الوجوديين التابعين لكلاكجارد– يقول بوجود التعالي أو المتعالي، ولكن لا يعرف على سبيل التحقيق هل هذا القول يعادل القول: بوجود الألوهية، أم يعادل القول: بوحدة الوجود والألوهية معا، أم يعادل القول: بإنكار الألوهية؟ ولكن المستغرب أن يرفض "ياسبرز" هذه المواقف كلها على السواء! (٣).

أما هارتمان فأنه يرى أن هناك مفهومان أساسيان لا غنى عنهما في نظرية المعرفة، المفهوم الأول هو: "الوجود بذاته"، المفهوم الثاني هو: "التعالي".

لكن ماذا يقصد هارتمان بالوجود بذاته، والتعالي؟

---

(١) والذي سار على دربه أهم الفلاسفة الوجوديون بعد القرن العشرين وهم: جبريل مارسل، وكارل ياسبرز، ومارتن هيدجر، وجان بول سارتر . الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص٢١١ .

(٢) كارل ياسبرز فيلسوف ألماني ولد سنة ١٨٨٣م ، له عدة مؤلفات في الفلسفة منها: العقل واللاعقل في زماننا، الموقف الروحي لعصرنا، الحرية وإعادة التوحيد العقل والوجود، وغيرها، توفي سنة ١٩٦٠م. انظر: معجم الفلاسفة ص٧٣٨ وما بعدها.

(٣) الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص٢١٥ .

يعتبر الوجود بذاته هو ذلك الوجود الكائن، والذي يتعلق وجوده بنا، وبغيرنا.

أما التعالي، أو الفعل المتعالي: فإنه ذلك الفعل الذي يقوم في الوعي –مثل الفكر والتصور وغير ذلك– وله عمل آخر وهو أنه ذلك الفعل الذي يتعدى الوعي، ثم يقوم بربط الوعي بالموجود بذاته (الشيء)([1]).

وربما أخذ هارتمان هذه الفكرة من "الكنتيين الجدد" حيث إنه لا يبقى للذات حينئذ إلا ما يسمى بـ "الوعي بصفة عامة" ([2]).

وهو يرى أن لهذا الفعل المتعالي قيمة كبيرة حيث إنه هو المعرفة، فالمعرفة عنده فعل متعال، ومن أهم ما يميزها أنها فعل الإدراك الخالص.

ومعنى أنك تعرف معرفة حقيقية هو: أن تدرك الموجود بذاته ([3]).

فالمتعالي عبارة عن أفكار وتصورات، ثم هو حلقة ربط بين تلك التصورات والأفكار من جانب، وبين الموجود العيني من جانب آخر، ثم هو بعد ذلك عين الكشف، حيث إن قيمته الحقيقية في أنه هو المعرفة، علما بأن المعرفة هي فعل الإدراك الخالص، ثم إن المعرفة التي تتسم بأنها معرفة حقيقية هي: إدراك الموجود بذاته.

([1]) الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص٢٨١ .

([2]) ينسب ذلك إلى "ريكرت" أحد الكنتيين الجدد. انظر: الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص١٣١.

([3]) الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص٢٨١ .

تعقيب:

يلاحظ أن: هناك بعض المذاهب (١) التي رفضت أن يكون هناك "ما يقوم بذاته" ويرى هارتمان أن ليس من الصعب الرد عليهم، فهذه المذاهب تعتمد على ثلاثة أفكار هي: الفكرة الأولى والتي هي مبدأ الوعي تقول: "الموضوع –الشيء الخارجي في عالم الأعيان– يقوم داخل الوعي –الذات– فلا يمكن إذن أن يكون هناك وجود قائم بذاته" (٢).

وهذا يعني أن عالم الأشياء أو ما يسمى بعالم الأعيان له وجود داخل الوعي، أو عالم الأذهان، فبالتالي ليس لعالم الأشياء هذا تحقق في الخارج وإنما هو متحقق فقط في الوعي أو الذهن.

الفكرة الثانية: القائلة بالتقابلية تقول: "ليس هناك من وجود لا يكون موضوعا لذات" (٣).

وهو يعني أن أي وجود كان، فلابد أن يكون هذا الوجود موضوعا لذات تدركه، فليس هناك ما يدرك، إلا وهناك ما يدركه، أو يعني بطريقة أخرى: أن كل وجود في عالم الأعيان يقابله وجود في عالم الوعي أو عالم الأذهان.

الفكرة الثالثة تقول: "إن القيمة والمعنى في العالم لا يمكن أن يفسرهما إلا وجود الذات واهبة القيمة والمعنى" (٤).

---

(١) على سبيل المثال: المذهب الشكي والمذهب النقدي وبعض أشكال المثالية . انظر: الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص٢٨١ .

(٢) الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص٢٨١ .

(٣) الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص٢٨١ .

(٤) السابق نفسه، نفس الصفحة .

الفكرة الثالثة هذه تعتمد على أن هناك قيم ومعاني، وهذه القيم والمعاني وُهبت من ذات، وهذه الذات هي التي تقوم بتفسيرهما، فالذي يفسرهما هو الذي أضفى عليهما صفة الوجود أصلا ([1]).

ويرى هارتمان أن الرد على هذه الأفكار يمكن بصورة سهلة من خلال التنبيه على أن "القائم بذاته" لا يحتاج أصلا إلى برهان لإثبات وجوده، والدليل على ذلك أن صفة "المعطى" التي تميزه داخلة في الظاهرة الأساسية التي هي ظاهرة الوجود المعطى للعالم ككل ([2]).

ويرى كذلك متابعا: أن الشك في وجود العالم الخارجي لا يعدو أن يكون إمكانا خالصا من حيث المبدأ فقط، وإذا افترض صحة ذلك الشك؛ فعند ذلك لن يكون ما نسميه بالمعرفة معرفة أصلا، ونكون بذلك وقعنا في أقصى درجات الشك ([3]).

وإذا تساءلنا كيف يمكن القضاء على هذه الشكوك بلا عودة مرة أخرى؟

من خلال "الأفعال الانفعالية المتعالية" يمكن إزاحة الشكوك بالكلية على ما يرى هارتمان، وقد قسم ما يسمى بـ"الافعال الانفعالية المتعالية" إلى ثلاثة أنواع من الانفعالات، أفعال انفعالية إستقبالية مثل: (التجربة والمعاناة)، ونستطيع من خلالها إدراك قسوة الواقع، وأفعال انفعالية توقعية مثل: (الانتظار والميل والأمل)، وفيها نقوم بانتظار شيء يأتينا

([1]) السابق نفسه، نفس الصفحة .

([2]) السابق نفسه نفس الصفحة.

([3]) الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص٢٨١ .

من (الواقع)، وأفعال انفعالية تلقائية، مثل: (الرغبة والإرادة والتصرف)، ويلاحظ أن هذه الأفعال تشترك كلها في أن فيها ما يعارض الذات، فهي إذن ليست الذات، ويتبين من هذا أن المعرفة موضوعها هو "ما يقوم بذاته" (١).

بهذا يكون هارتمان دلل على "وجود القائم بذاته"، وأنه شيء موجود بالفعل في عالم الواقع، وليس مجرد خيالات، وإن قال أحد بإمكانية –مجرد إمكان– الشك في وجود القائم بذاته فإنه مردود عليه بما سماه بـ"الافعال الانفعالية المتعالية"، وبهذا يكون ربط إمكانية المعرفة "الأبستمولوجيا" بالوجود "الأنطولوجيا"، بصورة واقعية.

ويتجلى من ذلك القيمة الكبيرة التي أولاها هارتمان لقضية الأنطولوجيا وعلاقتها بالأبستمولوجيا، فالمعرفة الحقيقية هي إدراك الوجود، فالوجود كُل –على ما يرى– والمعرفة جزء منه، ولا يمكن الحديث عن المعرفة إلا بالحديث عن الوجود، فهو الكل الذي يتفرع عنه الجزء وهو المعرفة.

ويزيد هارتمان من الربط بين القضيتين –الأبستمولوجيا بالأنطولوجيا–، أنه جعل أساس الفلسفة عنده هو البحث في الأنطولوجيا –والتي يسميها أحيانا (على غير المألوف) بالميتافيزيقا– (٢)، وإذا كانت المنطقة الأساسية التي تبحث فيها الفلسفة هي تناول قضية الوجود من

(١) السابق نفسه نفس الصفحة.

(٢) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٦١ .

جميع مناحيها، فإدراكه إنما هو عائد إلى المعرفة، والتي هي جزء منه، وهو كُلٌ لها، غير أنهما لا ينفصلان عن بعضهما البعض .

ويؤكد من الأمر كذلك أنه يرى أن اتجاه الفكر اتجاه أنطولوجي (١)، فإذا كانت المعرفة إدراك، والإدراك حصول صورة الشيء في الذهن مع الحكم عليه، وكل ذلك عملية عقلية تجري داخل ذهن الإنسان، ومادتها الفكر، وانتظام حركة الفكر مكون من مكونات العملية المعرفية، فالمعرفة مستبطنة في الوجود.

وإن كان من ناحية أخرى؛ ينكر بإصرار أن يكون الموضوع الأول للفكر هو الفكر نفسه، أو عملية المعرفة ذاتها، ويكأنه هنا يريد أن يكون صدى سلبيا لفكرة "ديكارت" والتي أراد من خلالها إثبات اليقين لنفسه، فاستخرج من فكره موضوعا يفكر فيه، ولقد كان موضوعه الأول هو الفكر نفسه، فلقد ذهب إلى أن إنيته شيء من خلال الفكر، فبما أنه شيء مفكر، فهو إذن موجود، حتى وصل إلى ما أطلق عليه "الكوجيتو الديكارتي" (٢) .

وهنا تبرز عملية "الواقعية المعرفية" في الفكر "الهارتماني".

---

(١) بمعنى أنه يهدف إلى إدراك عالم من الموضوعات العينية التي يجاوز وجودها الذهن الإنساني نفسه . الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٦٢ .

(٢) رينيه ديكارت التأملات في الفلسفة الأولى ص١٠١، ترجمة وتقديم وتعليق عثمان أمين، المركز القومي للترجمة – سلسلة ميراث الترجمة، ٢٠٠٩م .

المطلب السابع: الواقعية المعرفية عند هارتمان

يرى المذهب الواقعي أن وجود العالم الخارجي هو وجود حقيقي واقعي، مستقل عن الذات، وأن هذا الوجود الواقعي يمكن معرفته (١).

حقيقة الأمر أن النزعة الواقعية عند هارتمان نزعة من نوع خاص، فهي تختلف عن واقعية العصور الوسطى، وواقعية العصور الحديثة على السواء، فهو لا يرضى بالبدائل الحتمية التي يقال فيها إما هذا وإما ذاك(٢) –إما الذات وإما الموضوع على سبيل المثال–، فوجهة نظره رفض تلك البدائل المتمثلة في المثالية والواقعية، وهذا يجعل من الواقعية التي انتهجها هارتمان على جانب كبير من التعقيد، يكاد يصعب معه إطلاق الواقعية عليه بدون فكر وروية.

---

(١) مبادئ التفكير الفلسفي ص٥٥ .

(٢) وهو بهذا مثلا يخالف تلك الفلسفة التوفيقية الكانتية، التي حاولت على نحو طريف أن تجمع بين الدعاوي التقليدية المتعارضة، دعاوى المدرستين المتخاصمتين، المدرسة "التجريبية" والمدرسة "العقلية"، فنقدية كنت تفسر كل معرفة صحيحة بأنها ثمرة لعاملين لازمين لبنائها ولا يقل الواحد منهما خطرا عن الآخر، عامل "أولاني" – بتعبير الدكتور عثمان أمين– متقدم على التجربة تقدم الرتبة والحيثية، وتقدم الشرط على المشروط، لا تقدم السابق على اللاحق في الزمان، وهذا العامل من طبيعة الذات العارفة، أو الذهن الناظر، وعلى عامل مادي قوامه أحاسيس الإدراك الحسي؛ فإذا افتقرنا إلى واحد من العاملين لم يكن لدينا معرفة صحيحة: "إن حدوسا من غير تصورات تكون عمياء، وإن تصورات من غير حدوس تكون فارغة" انظر: الدكتور عثمان أمين رواد المثالثة في الفلسفة الغربية ص٦١ .

ومن ناحية أخرى فإن هذه الرؤية الواقعية تجعله يقترب من المثل الأعلى الذي تهدف إليه الفنومنولوجيا، أضف إلى هذا أن رفضه للبدائل (مثل الجبر والاختيار، والوحدة والكثرة) يجعله صاحب فلسفة لا تقوم على فروض مسبقة (١).

فهارتمان يرفض أن يسمي البحث في الأنطولوجيا بحث تأملي، لأنه ليست هناك حاجة تدعو إلى تلك "الأنطولوجيا القديمة" والتي انتهجها القدماء حينما تأملوا في عالم الوجود، وذلك لأن اتجاه الفكر أصلا موجه نحو الأشياء "الموضوعات" الواقعية.

ومن الغرابة الفكرية –فيما يرى هارتمان– أن يتم التوحيد بين الفكر والأبستمولوجيا، والتي يترتب عليها غض النظر عن الطابع الثانوي للتأمل الأبستمولوجي، وحينها يتم النظر إلى الأنطولوجيا على أنها تأملية.

يقول في كتابه "طرق جديدة للأنطولوجيا": "إن كل معرفة لا بد أن تتوجه لا إلى نفسها؛ بل إلى موضوعها" (٢)، وعندما تحدث عن التأمل الأبستمولوجي في الكتاب نفسه قال: "إن هذا التأمل الأبستمولوجي ثانوي، ولا بد أنه تم ضد الاتجاه الطبيعي للفكر" (٣).

وفي كتاب "بناء العالم الواقعي" يعبر عن نفس الفكرة فيقول: "إن الاتجاه الطبيعي لكل معرفة هو اتجاه نحو موضوعها، ومن ثم فإذا أرادت

---

(١) الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٦٣، ١٦٤ .

(٢) انظر: طرق جديدة للأنطولوجيا لهارتمان، ترجمة الدكتور/ محمود رجب، نقلا عن: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٦٢ .

(٣) نقلا عن: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٦٢ .

المعرفة أن تدرك مبادئها الخاصة، فلا بد أن ترتد وتعود إلى نفسها، أن ترتد عن موضوعها وتعود راجعة إلى نفسها" (١).

ومن ثم فليس الفكر يتجه نحو الذهن وبنائه، فليس له علاقة بذلك، وإنما يتجه نحو ما يمكن أن يستكنه منه المعارف وهو الموضوعات وبنائها .

وإذا كان هارتمان واقعي من بعض الجوانب في نظريته للمعرفة، فإنه يخالف الواقعيين من بعض الجوانب، وهذا يظهر من خلال النظر لما يسمى بدوائر الوجود، وهي المسألة الأخيرة التي يعالجها هذا البحث.

دوائر الوجود "الأنطولوجيا":

عند تفسير هارتمان للوجود فإنه يتخيله على أربعة أنحاء من الدوائر متمايزة تماما إحداهن عن الأخريات، ينقسمان في نفس الوقت إلى قسمين رئيسين.

القسم الأول: يتكون من دائرتين أوليتين هما: دائرة الوجود الواقعي، ودائرة الوجود المثالي "النموذجي" وهاتين الدائرتين هما أنحاء الوجود.

القسم الثاني: يتكون من دائرتين ثانويتين هما: دائرة المعرفة، ودائرة المنطق، وهاتين الدائرتين هما طبقات –أو درجات– الوجود.

(١) نقلا عن: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين ص١٦٢، ١٦٣.

فهناك "دائرتين أوليتين: دائرة الواقعي، ودائرة النموذجي.. ودائرتين ثانويتين، وهما دائرة المعرفة والمنطق" (١).

وهو يرى أن هناك علاقات وثيقة قائمة بين تلك الدوائر، وبينها رباط وثيق، فدائرة الوجود المعرفية ترتبط برباط وثيق مع تلك الأخرى المتسمة بدائرة الوجود الواقعي، أما دائرة المنطق فبينها وبين دائرة الوجود النموذجي علاقة وثيقة الصلة كذلك.

ويلقي هارتمان أهمية كبيرة لذلك الوجود النموذجي –الذي ينكره الواقعيون– ويفصل القول في حقيقة وجوده، بل إنه يؤكد وجوده حيث إنه يرى أنه يوجد تماما مثله في ذلك مثل الوجود الواقعي.

ودليله على ذلك أنه يمكن معرفته، وبما أنه يمكن معرفته فهو موجود، لأنه جوهر المعرفة هو: إدراك موجود قائم بذاته .

"وفيما يخص العلاقات بين مجموعتي الدوائر، فإن هناك رابطة وثيقة ما بين دائرة المعرفة ودائرة نحو الوجود الواقعي، وما بين دائرة المنطق ودائرة نحو الوجود النموذجي .. والوجود النموذجي يوجد تماما بقدر وجود الوجود الواقعي، ودليل ذلك أننا نستطيع معرفته، وأن المعرفة ما هي في جوهرها إلا إدراك وجود قائم بذاته" (٢).

وهو يرى أن درجات الوجود الواقعي أربعة درجات هي: المادة، والحياة، والوعي، والعقل، ويقابل هذه الأربعة في درجة الوجود المعرفي أربعة أيضا هي: الإحساس، الحدس، الإدراك، والعلم.

---

(١) الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص ٢٨٣ .

(٢) الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص ٢٨٣ .

"في دائرة الوجود الواقعي هناك درجات هي: المادة، الحياة، الوعي، العقل، ويقابلها في دائرة وجود المعرفة: الإحساس، الحدس، الإدراك، والعلم أخيرا"([1]) .

تعقيب:

يربط هارتمان برباط وثيق بين "الأبستمولوجيا" و"الأنطولوجيا" من خلال ما سماه بدوائر الوجود، فهناك ما يسمى بدائرة الوجود الواقعي الأوَّلِي، وهذه الدائرة ترتبط بدائرة الوجود المعرفي الثانوي، فكل وجود واقعي له تحقق هو مرتبط بمعرفته، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه يقرر على خلاف "الواقعية" ذلك الوجود المثالي، أو كما سماه بالوجود النموذجي، ولا يصعب الاستدلال على هذا الوجود، حيث إنه يمكن معرفته، وما يمكن معرفته يستحق أن يكون جوهر المعرفة، فجوهرها هو: إدراك موجود قائم بذاته .

وإذا كان هناك "وجود واقعي" فإن هناك أيضا ما يسمى بـ"الوجود المعرفي"، وإذا كان الوجود الواقعي يتمحور حول دائرة مستديرة، فكذلك الثاني، وإذا كان الأول أربعة أنواع، فكذلك الثاني له أربعة أنواع تقابل الأول، وهكذا يسير هارتمان في محاولته ربط الأبستمولوجيا بالأنطولوجيا، سيرا في هذا الطريق بلا هوادة .

([1]) الفلسفة المعاصرة في أوروبا ص ٢٨٤ .

الخاتمة

إذا كان صلب الموضوع يتمحور حول نظرية المعرفة وربط الأبستمولوجيا بالأنطولوجيا عند هارتمان، فهل وُفق إلى ذلك؟ حقيقة الأمر أنه حاول جاهدا أن يربط بعضهما ببعض، لكن يبقى أن تظل الأبستمولوجيا نظرية مستقلة في دراستها عن نظرية الأنطولوجيا، فإنه إذا كان وفق لذلك من الناحية التطبيقية في الربط العملي بين النظريتين، لكن يظل كل منهما منفصل عن الآخر كنظرية مستقلة.

هذا وقد كشف هذا البحث المختصر عن عدة نتائج أخرى هي:

أولا: أن العقل عند هارتمان يختلف عن المادة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تفسير العقل بالمادة، أو الذات بالموضوع.

ثانيا: أن فعل الأبستمولوجيا عند هارتمان ليس مجرد استقبال سلبي لما يرد عليه من عالم الأشياء؛ بل له تدخل كبير فيما يرد عليه من المدركات الخارجية.

ثالثا: يرى هارتمان أن الأبستمولوجيا جزء من الأنطولوجيا، وأنه لا يمكن تفسير وفهم الأبستمولوجيا إلا بالأنطولوجيا.

رابعا: تأثر هارتمان الكبير بمن سبقه من الفلاسفة خاصة أولئك الفلاسفة أصحاب النظرية المثالية.

فهرس المراجع

إ. م. بوشنسكي

الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة د. عزت قرني، ط١٩٩٢م، عالم المعرفة.

أبى البركات هبة الله ابن علي بن ملكا البغدادي

المعتبر في الحكمة، ط الأولى سنة ١٣٥٧هـ، دائرة المعارف العثمانية.

الأستاذ الدكتور/ إمام عبد الفتاح إمام

مبادئ التفكير الفلسفي، ط الثالثة ٢٠١٦م، وزارة التربية الكويت.

أندريه لالاند

موسوعة لالاند الفلسفية (ميتافيزيقا)، تعريب الدكتور/ خليل أحمد خليل، إشراف/ أحمد عويدات، ط الثانية، مشورات عويدات باريس – بيروت.

برتراند راسل

تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثالث "الفلسفة الحديثة"، ترجمة: الدكتور/ محمد فتحي الشنيطي، دار الكتب المصرية ١٩٧٧م.

ج . بنروبي

مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، ترجمة: الدكتور/ عبد الرحمن بدوي، مراجعة: محمد ثابت الفندي، ط ١٩٦٤م مكتبة الأنجلو المصرية .

جورج طرابيشي

معجم الفلاسفة، ط الثالثة سنة ٢٠٠٦م، دار الطليعة بيروت لبنان.

الدكتور/ أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل.

معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

الدكتور/ أمير عباس صالحي

إيمانويل كانط الجزء الأول: الأبستمولوجيا، ط/ الأولى سنة ٢٠١٩م، مركز الفهرسة ونظم المعلومات، مكتبة العتبة العباسية المقدسة.

الدكتور/ جميل صليبا

المعجم الفلسفي، ط ١٩٨٢م دار الكتاب اللبناني بيروت .

الدكتور/ عثمان أمين

رواد المثالية في الفلسفة الغربية، ط/ دار المعارف سنة ١٩٦٧م.

الدكتور/ عمرو شريف

خرافة الإلحاد، ط الأولى سنة ٢٠١٤م، مكتبة الشروق الدولية .

الدكتور/ فؤاد زكريا

نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان، مكتبة نهضة مصر بدون تاريخ.

الدكتور/ فؤاد كامل

أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ط الأولى سنة ١٩٩٣م دار الجيل بيروت.

الدكتور/ محمد علي أبو ريان

تاريخ الفكر الفلسفي "الفلسفة الحديثة" ط/ سنة ١٩٩٦م دار المعرفة الجامعية .

الدكتور/ محمود رجب

الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، ط الثانية ١٩٨٦م دار المعارف.

الدكتور/ يحيى هويدي

قصة الفلسفة الغربية، ط/ ١٩٩٣م دار الثقافة للنشر والتوزيع .

دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، ط سنة ١٩٧٩م، دار الثقافة للطباعة والنشر.

راجح عبد الحميد سعيد

نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، رسالة دكتوراه "مخطوطة" بكلية أصول الدين ١٩٧٩م.

رينيه ديكارت

التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة وتقديم وتعليق عثان أمين، المركز القومي للترجمة – سلسلة ميراث الترجمة، ٢٠٠٩م .

سعد الدين التفتازاني

شرح المقاصد، قدم له ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط/ دار الكتب العلمية سنة(٢٠٠١)م.

السيد محمد باقر الصدر

فلسفتنا، "دراسة موضوعية في معترك الصراع الفكري القائم بين مختلف التيارات الفلسفية وخاصة الفلسفة الإسلامية والمادية والديالكتيكية"، دار التعارف للمطبوعات، بدون تاريخ.

محمد بن عرفة الدسوقي

حاشية الدسوقي علي أم البراهين، ط/ مكتبة المشهد الحسيني بدون تاريخ.

الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، راجعها وأشرف عليها: الدكتور/ زكي نجيب محمود، مكتبو الأنجلو المصرية.

هارتمان (نقولاي)

ميتافيزيقا المعرفة ترجمة: الدكتور/ محمود رجب، ضمن كتاب: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، ط الثانية ١٩٨٦م دار المعارف له.

التمهيدات لكل ميتافيزيقا مستقبلة ترجمة: الدكتور/ محمود رجب، ضمن كتاب: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، ط الثانية ١٩٨٦م دار المعارف له.

طرق جديدة للأنطولوجيا، ترجمة: الدكتور/ محمود رجب، ضمن كتاب: الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين، ط الثانية ١٩٨٦م دار المعارف له.

هنتر ميد

الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة الدكتور/ فؤاد زكريا، ط الثانية سنة ١٩٧٥م، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

فهرس الموضوعات

تقديم: ٢٤٢٩

نظرة عامة: ٢٤٣٥

المطلب الأول: التعريف بنيقولاي هارتمان ٢٤٤٠

مؤلفاته: ٢٤٤٠

المؤثرات الفلسفية التي أثرت في فكره: ٢٤٤٠

تميزه بين الفلاسفة وما قيل عنه: ٢٤٤١

المطلب الثاني: العلاقة بين الميتافيزيقا والأنطولوجيا ٢٤٤٣

تعقيب: ٢٤٤٩

المطلب الثالث: كيفية البدء في نظرية الأبستمولوجيا والوصف الفنومنولوجي لها ٢٤٥٠

مميزات الوصف الفنومنولوجي للأبستمولوجيا "للمعرفة" كما يرى هارتمان: ٢٤٥١

تعقيب: ٢٤٥٣

النقد الأنطولوجي لميتافيزيقا القدماء: ٢٤٥٤

تعقيب: ٢٤٥٧

المطلب الرابع: قوام المعرفة عند هارتمان "طبيعة الأبستمولوجيا". ٢٤٦٣

تعقيب: ٢٤٦٥

البعد الأنطولوجي في النظرية الأبستمولوجية: ٢٤٦٦

تعقيب: ٢٤٦٧

ما بعد الموضوعي: ٢٤٦٨

مركزية الأفكار الفطرية وقيمة التوتر القائم بين الموضوعي وما بعد الموضوعي: ٢٤٧٠

تعقيب: ٢٤٧٠

المطلب الخامس: البحث عن الشكوك ٢٤٧٢

تعقيب: ٢٤٨٠

المطلب السادس: "الموجود بذاته" و"المتعالي" في النظرية الأبستمولوجية ٢٤٨٢

تعقيب: ٢٤٨٤

المطلب السابع: الواقعية المعرفية عند هارتمان..... ٢٤٨٨

دوائر الوجود "الأنطولوجيا": ٢٤٩٠

تعقيب: ٢٤٩٢

الخاتمة..... ٢٤٩٣

فهرس المراجع..... ٢٤٩٤

فهرس الموضوعات ٢٤٩٩